روايات

ياسمين

الحب الذي لا يموت

تأليف

باربارا كارتلاند

٢/٥٠٠

www.elromancia.com

مرموريـة

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

روايات

ياسمين

مختارات روائية
من البيئة العربية
والأدب العالمي

- تنقلنا إلى أجواء العاطفة والمشاعر النبيلة.
- تطوف بنا في رُبى الحلم والواقع.
- تحمل همسات بسيطة ولمسات حانية.
- تعرض لنا تجارب الآخرين بأسلوب ممتع ومشوق.

دار الآفاق الجديدة

لم يكن باستطاعة «طوني» ترك انكلترا والابتعاد عن «إيفن» كانت تحبه ويحبها وقد عزما على الزواج مهما كلف الأمر. فكيف لها أن تعارض إرادة عمها اللورد «كنريك» الذي أراد اصطحابها معه إلى الهند بعد وفاة أبيها.

وقررت «طوني» أن تطلب من قريبتها وصديقة عمرها «ليتونيا» أن تلعب دورها في هذه الرحلة لأن عمها لم يرها طوال سنين عديدة.

ولم تستطع «ليتونيا» رفض طلب «طوني» لأنها تحبها وتعمل على سعادتها.

وكان أن اكتشف أمرها وعرف اللورد حقيقتها وحقيقة اللعبة التي قامت بتمثيلها. فثارت ثائرته واندفع يلومها ويؤنبها لأنها لعبت دوراً لا تعرف نتائجه.. فقد وضعته ووضعت نفسها في موقف حرج لا تحسد عليه..

فما هو مصير «ليتونيا»؟

هل سينتقم منها ومن ابنة أخيه «طوني» فيزداد حقده عليهما وكرهه لهما.. أم أن هذا الحقد وهذه المغامرة سيكونان مقدمة لحب لا يموت؟

www.al-mostafa.com

حثت « ليتونيا » حصانها على العدو بسرعة فوق تلك الأرض البائرة وهي تتساءل في سرها عن السبب الذي دعا قريبتها الطلب إليها الالتحاق بها هذا الصباح الباكر . فقد تلقت رسالة مستعجلة من « طوني » تطلب إليها بها ملاقاتها فور تلقي الرسالة .

ما الذي حدث لقد كنت معها البارحة في الليل ؟ تساءلت « ليتونيا » .

كان من المستحيل أن تمكث الفتاتان مدة ٤٨ ساعة دون أن تلتقيا . كانتا كالشقيقتين تماماً .

كانت « ليتونيا » تعامل « طوني » وكأنها توأمتها ولم يكن ذلك بالأمر الغريب فوالدتاهما تكنان عاطفة كبيرة الواحدة تجاه الأخرى .

كانت الليدي « برانسكوب » والسيدة « هيث » ابنتي عم تزوجتا في نفس الفترة تقريباً وحملتا في نفس الوقت أيضاً فولدت « ليتونيا » وتبعتها « طوني » بعد ثلاثة أيام فقط .

وبهذه المناسبة قررت الليدي « برانسكوب » والسيدة « هيث » إطلاق نفس الاسم على الفتاتين . والغريب في الأمر هو أن السيدتين كانتا تتوقعان أن ترزقا بمولودتين أنثيين .

ـ من الطبيعي أن يتمنى « هوبير » أن يرزقه الله صبيا ، كانت تردد الليدي « برانسكوب » . فأي انكليزي يتمنى أن يكون ابنه البكر صبياً . لكنني متأكدة يا« إليزابيث » أننا سنرزق بفتاتين .

ـ إنه أمر غريب حقاً ، أجابت السيدة «هيث» يومها ، في كل مرة أتخيل فيها طفلي ، إنني أرى فتاة صغيرة !

ـ لن يحمل لقباً نبيلاً كما هو الحال بالنسبة إلى طفلك لكن «أرثير» يفضل أن يرزق بصبي كي يرافقه في رحلات الصيد يعتمد عليه في الكبر .

ـ لا بد لـ «أرثير» أن ينتظر قليلاً! أجابت الليدي « برانسكوب » ضاحكة .

وولدت الفتاتان وتربتا معاً كانتا تلعبان وتمضيان معظم الأوقات مع بعضهما . عملت على تربيتهما مربية واحدة فلم تكن عائلة « هيث » ميسورة بما فيه الكفاية من أجل تخصيص مرتب خاص لتربية « ليتونيا » فكانت هذه الأخيرة تمضي معظم أوقاتها في قصر اللورد « برانسكوب » برفقة « طوني » فترافقها في جولاتها فوق الأحصنة الأصيلة ، وتلعب معها .

ولم تكن « ليتونيا » تعير أية أهمية لهذا الفرق في الثراء بين العائلتين . فكانت تعيش مع عائلتها في إحدى المنازل القريبة من قصر اللورد ، وتفضل أجواء منزلها الهادئة والبسيطة على حياة الترف والثراء في قصر « طوني » ، خاصة أن أجواء القصر كانت ضاغطة ومشحونة في معظم الأحيان .

وتذكر أنها قالت لوالدتها مرة :

ـ إن خالتي « مارغريت » وعمي « هوبير » لا يبدوان سعيدين ولست أدري سر هذه الكآبة التي تخيم على القصر !

حاولت « طوني » بمختلف الوسائل تخطي مشاكل أهلها فكانت تمضي معظم أوقاتها برفقة « ليتونيا » .

قررت الليدي « برانسكوب » تقديم الفتاتين الى الملكة في لندن لعلهما تدخلان إلى البلاط فتتعرفان على الشخصيات فتلتقيان بالزوجين المناسبين.

لكن الليدي « برانسكوب » لم تتمكن من تحقيق هذه الأمنية فقتلت في حادثة صيد ؛ كانت « طوني » في السادسة عشرة من عمرها في تلك الفترة فاضطر والدها الى طلب معونة إحدى قريباته من أجل الإشراف على شؤونها وتربيتها . كما أن « ليتونيا » فقدت والديها في نفس الفترة إثر حادث مؤلم وذلك قبل الوقت المحدد لسفرها إلى لندن برفقة « طوني » بفترة قصيرة .

لقد سافر الكابتن والسيدة « هيث » إلى الهند لزيارة شقيق اللورد « برانسكوب » « كنريك كومب » الذي كان معروفاً بأنه من أبسل الضباط الإنجليز في الهند . كان يشغل مركزاً هاماً بين الضباط فدعا شقيقه اللورد « برانسكوب » لزيارته هناك ونظم بالمناسبة عدة حفلات استقبال، وأعد برنامجاً خاصاً لزيارة أهم المناطق الهندية خلال فترة إقامة شقيقه في تلك البلاد ولكن ولسوء الحظ لم يستطع اللورد « برانسكوب » القيام بهذه الزيارة ، لم ينهه عن ذلك مشاغله الكثيرة في غرفة اللوردات في لندن بل المرض العجيب الذي أصيب به فجأة فألزمه الفراش ولم يستطع الأطباء إيجاد الدواء المناسب للقضاء عليه ، فقرر هؤلاء منعه من القيام بهذه الرحلة نظراً لسوء حالته الصحية ، فلن يتمكن من تحمل مشقات السفر في البحر وتحمل الحفلات التي كانت تنتظره هناك .

وقرر اللورد « برانسكوب » إرسال الكابتن « هيث » وزوجته من

أجل تمثيله هناك لكي لا يخيب ظن شقيقه .

ـ إن والدك سعيد جداً يا « ليتونيا » ، لقد كان يحلم دائماً بزيارة الهند . قالت السيدة « هيث » لابنتها ، إنه يعرف « كنريك كومب » منذ كان طفلاً .

ـ لا بد لكما من القيام بهذه الرحلة إذاً ! أجابت « ليتونيا » بحزن ، سأفتقدكما كثيراً .

ـ سنفتقدك أيضاً يا عزيزتي . إنني متأكدة من أنك ستمضين أوقاتاً سعيدة برفقة « طوني » . إنني أعرف أنها فتاة متهورة وعليك مراقبتها من وقت إلى آخر !

وضحكت الأم والفتاة لهذه الفكرة .

بعد سفر والدتها تأكدت « ليتونيا » أنها كانت على حق بشأن تصرفات « طوني » . كانت هذه الأخيرة لا تُعير أية أهمية للقواعد التي كان يجدر بها أن تحترمها بصفتها ابنة اللورد « برانسكوب » فكانت تغادر المنزل دون إذن وتحضر الحفلات الراقصة دون أن يرافقها أحد . فيما كانت « ليتونيا » تمضي معظم أوقاتها في غرفة المطالعة تحضر فروضها ودروسها .

وتحققت « ليتونيا » شيئاً فشيئاً من اختلاف الطباع بينها وبين قريبتها ، فكانت هذه الأخيرة تحب حياة البذخ والترف وتتوق إلى التعرف إلى الناس والتحدث إليهم ومخالطتهم فيما كانت « ليتونيا » شديدة الحياء تعيش منطوية على نفسها لا تعير أية أهمية لانشغالات المجتمع الراقي .

«أريد أن أعيش حياة هادئة وأن أؤسس منزلاً سعيداً » ، كانت تردد في سرها .

وكررت هذه الجملة في سرها آلاف المرات عندما وردها خبر وفاة

والديها في حادثة مؤسفة .

كانت والدتها قد كتبت لها قبل مدة :

«إن الهند بلاد رائعة ، إن والدك يستفيد من كل اللحظات التي يمضيها في هذه البلاد . سيقص عليك حكايات غريبة فور عودتنا إلى إنكلترا ! أرجو أن تكوني سعيدة يا عزيزتي . وأخشى أن نمدد مدة إقامتنا هنا لشهر على الأقل . أرجو أن تمضي أوقاتاً سعيدة برفقة « طوني » » .

بعد مضي ثلاثة أسابيع على وصول هذه الرسالة من الهند، توفي اللورد « برانسكوب » أثر نوبة قلبية حادة . فأرسلت عدة برقيات بهذا الشأن إلى الهند . وعلمت « طوني » أن عمها « كنريك » أصبح بذلك لورد « برانسكوب الرابع » .

ـ هل تعرفينه جيداً ؟ سألتها «ليتونيا».

ـ لم أره منذ سنوات . لقد كان والدي فخوراً به ، إنه رجل متسلط يخشاه كل الجنود التابعين له .

قالت « طوني » جملتها الأخيرة بنوع من اللامبالاة ، لكن « ليتونيا » كانت تعرف أن اللورد « برانسكوب الرابع » سيكون الوصي والمسؤول الوحيد عن « طوني » بعد وفاة والديها .

وبعد مرور شهر على هذه الحادثة قرر الكابتن « هيث » وزوجته العودة إلى إنكلترا لكنهما أصيبا خلال الرحلة بالحمى الصفراء فوضعت الباخرة تحت الحجر الصحي فور وصولها إلى بور سعيد وقد كان معظم الركاب مصابين بالداء . وشرحت السيدة «هيث» لابنتها « ليتونيا » كل ما كانت تعاني منه في أثناء فترة احتجازها ووالدها في الباخرة فقد منع كل الركاب من مغادرتها .

وبعد مرور فترة قصيرة من الوقت صعقت « ليتونيا » لخبر وفاة

والديها وصعب عليها تصديق الخبر « لن أراهما بعد اليوم » كانت تردد في سرها « لقد أحببتهما من كل قلبي وعرفت إلى جانبهما السعادة ، كان يجدر بي أن أرافقهما في هذه الرحلة فما كنا افترقنا أبداً » .

رويداً رويداً أخذت « ليتونيا » تستقبل الواقع : فالحياة سائرة ، وقد علمها والدها دائماً أن تكون شجاعة ، قادرة على تخطي المصاعب والعقبات . فقررت متابعة مثابرتها في الدرس وتقبل حياة الوحدة بعد وفاة والديها مهما كلف الأمر .

لكن كان أكثر ما زاد من كآبة وحزن « ليتونيا » بُعْد « طوني » عنها . كانت هذه الأخيرة قد سافرت إلى لندن برفقة إحدى قريباتها بعد وفاة والدها ، كي تساعدها هذه الأخيرة على مخالطة مجتمع اللوردات والشخصيات .

ـ لا داعي لبقائك هنا ، قالت لها قريبتها ، لا بد لك من المجيء إلى لندن . سيتسنى لك بعد انقضاء فترة الحداد الذهاب إلى الحفلات والمسرح والأوبرا . لن تشعري بالملل أبداً في لندن !

لكن قريبة « طوني » لم تدع « ليتونيا » لاصطحابها إلى لندن ، ولم تكن هذه الأخيرة ستقبل الدعوة . ومضت عدة أشهر ولم تعد « طوني » ، وفهمت « ليتونيا » أن قريبة ومربية صديقتها الحميمة لا تريد بأية حالة من الأحوال تحمل مسؤولية اصطحابها هي الأخرى إلى العاصمة وفقدت الأمل في أن تُقَدَّمَ في نفس الوقت إلى الملكة برفقة « طوني » كما كانت تتوقع من قبل .

ورغم ذلك ، كانت « ليتونيا » سعيدة في حياتها في الريف فقد عادت المربية الكبيرة في السن إلى « مانور هاوس » وفضلت البقاء إلى جانب « ليتونيا » .

كانت الآنسة « وادسون » امرأة ذكية للغاية ، تتوق إلى العيش

حياة هادئة بعيداً عن المشاكل وصخب حياة المدينة فوجدت كل ما كانت تطمح إليه إلى جانب « ليتونيا » فأعطتها مطلق الحرية فور بلوغها سن الرشد دون أن تتخلى عن الاهتمام بأمورها العادية .

عاشت « ليتونيا » والمربية حياة هادئة في غياب « طوني » إلى أن ظهرت هذه الأخيرة من جديد فجأة .

فور وصولها إلى الريف اجتمعت إلى « ليتونيا » . فتعانقتا طويلاً وفهمتا أن بعدهما عن بعضهما لم يغير أي شيء في العاطفة الكبيرة التي كانت تجمعهما .

ـ إنني سعيدة بلقائك ثانية ، صاحت « طوني » لقد اقترحت على قريبتي « أليس » أن تطلب مجيئك إلى لندن لكنها رأت أنني سببت لها ما يكفي من المشاكل بمفردي .

قالت « طوني » جملتها هذه مداعبة ، لكن « ليتونيا » سألتها بشيء من القلق :

ـ أي مشاكل هذه ؟

ـ طبعاً ، وكالعادة إنني بحاجة إلى مساعدتك يا عزيزتي !

ـ قولي لي ما الأمر ؟ صاحت « ليتونيا » .

ـ إنني أحب !

وصعقت « ليتونيا » لهذا الخبر وسألت :

ـ آه يا « طوني » ، إنه أمر رائع قولي لي من صاحب الحظ السعيد ؟

ـ المركيز « سيتون » . أجابت «طوني».

وتمتمت « ليتونيا » :

ـ إنني لا أصدق ذلك . كيف تعرفتِ إليه ؟ وما رأي والده في الموضوع ؟

كان اندهاش « ليتونيا » في محله . فالمركيز « سيتون » هو ابن الدوق « هامبتون » البكر ، أحد أهم شخصيات المقاطعة . كان ينظر إلى بقية سكان المنطقة بنوع من الاستخفاف ، ويعرف الكونت « برانسكوب » جيداً لكنه كان على خلاف معه حول حدود ممتلكاتهما المجاورة لبعضها فحصلت مشادة قوية بينهما وانقطعت علاقاتهما إثر ذلك .

وفي طفولتهما كانت « ليتونيا » و« طوني » تشاهدان المركيز «سيتون» في أثناء الصيد. كانتا تتوقان دوماً للتحدث والتعرف إليه . كان فارساً شجاعاً وجذاباً للغاية .

ها هي ذي « طوني » قد تعرفت إليه الآن ووقعت في حبه ! واستمعت « ليتونيا » إلى قصة قريبتها بكل اهتمام .

ـ تعرفت إليه في اليوم الأول من وصولي إلى لندن . كنا مدعوين إلى حفلة موسيقية . استفهمت فيما بعد عن أصدقائه والأماكن التي يتردد عليها باستمرار .

ـ ألم تجدي صعوبة في ذلك ؟

ـ لا ! أبداً ، كنا نلتقي في معظم الأحيان في الحفلات ، وشعرت منذ لقائنا الأول أنه يبدي اهتماماً كبيراً نحوي .

ـ آه إنني أفهم ذلك ، إنك فتاة فاتنة يا « طوني » . وقد زدت جمالاً في أثناء إقامتك في لندن !

كان ذلك صحيحاً ، فقد كانت « طوني » فتاة جذابة للغاية ، شديدة الثقة بالنفس لا تخشى المصاعب .

ـ تابعي قصتك مع المركيز أرجوك ! ألحّت « ليتونيا » .

ـ كنا نتبادل أطراف الحديث حول مختلف المواضيع ، كنت أشعر بتعلق المركيز بي في كل مرة كنت ألقاه فيها . أما أنا في الحقيقة فقد

كنت أريد أن أنتقم لوالدي بسبب الخلاف الذي وقع بينه وبين الدوق « هامبتون » حول حدود الممتلكات وأريد أن أنتقم لنفسي لأن الدوق لم يدعنا مرة واحدة إلى حضور تلك الحفلات الرائعة التي كان يقيمها في قصر « هامبتون تاورز » .

ـ آه ، أما أنا فقد كنت أحلم دائماً في زيارة ذلك القصر .

ـ في المستقبل سيصبح هذا القصر منزلي ويمكنك الإقامة فيه يا « ليتونيا » . سأصبح مركيزة سيتون !

ـ وما رأي الدوق في كل هذا ؟ صاحت « ليتونيا » .

ـ ما عليه إلا أن يتناسى الخلافات القديمة بينه وبين والدي فلن يتزوج ابنه أميرة !

ـ أميرة ؟ ماذا تقصدين ؟

ـ أجل إنه أمر طبيعي جداً أن يتزوج ابن الدوق أميرة ، هذا ما يتمناه الدوق « هامبتون » على الأقل .

وقهقهت « طوني » وأضافت :

ـ آه يا عزيزتي ، إنه أمر مضحك للغاية ، لن أدع « إيڤن » يفلت مني أبداً .

ـ هل تحبينه حقاً ؟

ـ أجل ، إنه رجل رائع (وتنهدت « طوني » بعمق .) إن قصتنا تشبه قصة الساحرة . إنني أحب « إيڤن » وهو يحبني وكل ما أتمناه هو أن يوافق الدوق على زواجنا .

ـ وهل تعتقدين أنه سيوافق ؟

ـ سيوافق أو . . . سيموت . ففي كل الأحوال سأتزوج « إيڤن » .

ـ كيف ذلك . . . سيموت ؟ سألت « ليتونيا » باندهاش .

www.elromancia.com

ـ إن الدوق مريض للغاية . شرحت «طوني»، أعتقد أنه مريض بالقلب . ولهذا السبب يفضل « إيڤن » عدم مفاتحته في موضوع زواجنا الآن إنه يخشى أن يسبب له الخبر أزمة قلبية .

ـ ولنفرض أن الدوق رفض زواجكما ؟

ـ هذا ما يخشاه « إيڤن » . إن رفض والده الموافقة على زواجنا سيؤدي إلى خلاف لا يمكن تخطيه بسهولة .

ـ لا بد لكما من التمهل إذاً ؟

ـ لقد أعلمت « ايڤن » ، أنه لا يمكنني التريث فترة طويلة ، كما أنه يتمنى أن نتزوج في أسرع وقت ممكن .

ـ وهل تعتقدين بأن الدوق سيذعن أمام رغبتكما ؟

ـ لا بد له من الموافقة ، أجابت « طوني » بحدة، فلا يعقل أبداً أن يغير « إيڤن » رأيه ، إنه يكن لي عواطف صادقة وهذا ما يريحني في الحقيقة .

ـ ستصبحين دوقة « هامبتون » إذاً !

ـ بالضبط ، وأنوي أن أستضيف في القصر كل الأشخاص الذين تعمد الدوق إبعادهم عن الحفلات والدعوات الرسمية التي كانت تقام في منزله .

ـ « طوني » ، لا بد لك من نسيان هذا الماضي ، واحترام والدي زوجك مهما كلف الأمر .

ـ إنني لن أتزوجهما، بل سأتزوج عزيزي « إيڤن » فهو مختلف تماماً عن والده ، شخص محب للناس ومتواضع للغاية . إنني أؤكد لك ذلك يا « ليتونيا » .

ـ إنني أصدقك يا «طوني».

ـ سنعيش سعداء وأريد أن أبوح لك بسر : إن « إيڤن » يبدي

اهتماماً كبيراً بثروتي .

وعقدت « ليتونيا » حاجبيها وسألت :

ـ ماذا ؟ إن الدوق رجل غني للغاية على ما أعتقد .

ـ لا أبداً . لقد أخبرني « إيڤن » أن والده لم يحسن التصرف بثروته فأنفق قسماً كبيراً منها على الحفلات ورحلات الصيد . كما أخبرني أيضاً أنه كان يستخدم ١٢ خادماً في « هامبتون تاورز».

ـ ١٢ خادماً ! صاحت «ليتونيا».

ـ ويجر عربة الدوق ٦ جياد عوضاً عن أربعة ! إنه رجل يحب المظاهر .

وبعد صمت قصير سألت «ليتونيا» بنوع من الحذر :

ـ وهل اختار الدوق الزوجة المناسبة لابنه ؟

ـ طبعاً ، وقد أكد لي « إيڤن » إنه اختار له عدة فتيات ينتمي معظمهن إلى أكبر العائلات في لندن وأغناهن على الإطلاق .

وسكتت « ليتونيا » . فقد كانت عائلة « برانسكوب » ، عائلة عريقة ونبيلة للغاية ، لكن عائلة « هامبتون » تفوقها مرتبة .

وضحكت « طوني » وأضافت :

ـ إنني أعرف بما تفكرين ! فلا داعي للقلق . إن « إيڤن » يحبني ولن تتمكن أية أميرة في العالم من إبعادي عنه .

ـ آه ، إنني سعيدة يا عزيزتي ! قالت « ليتونيا » بصدق . ستصبحين دوقة وستعيشين حياة سعيدة كوالديّ تماماً . فقد تزوجا عن حب وعاشا حياة هانئة . وقد طلبت من الله مراراً لكي يتيح لنا فرصة معرفة هذه الحياة السعيدة على غرار والديّ .

ـ لقد تحققت دعواتك فيما يخصني يا « ليتونيا » . وستتحققين من حقيقة مشاعري نحو « إيڤن » عندما أقدمه لك . إنه الشخص

www.elromancia.com

الوحيد الذي أريد أن أقضي بقية حياتي برفقته .

تساءلت « ليتونيا » وهي تتجه نحو القصر إن كانت رسالة « طوني » ذات علاقة بالمركيز .

«دون شك ، قالت في سرها ، ولكن ما الذي حدث ؟ »

لم تكن «ليتونيا» قد تعرفت إليه بعد، لكن الزهور والهدايا التي كانت ترسلها « طوني » تدل على أنه شديد التعلق بها .

كانا يلتقيان سراً في معظم الأوقات كي لا يشك الدوق « هامبتون » بالأمر . فقد كان قصر « هامبتون تاورز » مجاوراً لقصر « برانسكوب » فأتاح ذلك « لطوني » و« لإيفن » فرصة الالتقاء في الحقول المحيطة بالقصر فيقومان بنزهة يومية بين الأشجار ويتجاذبان أطراف الحديث دون أن يشك بأمر لقائهما أحد .

ـ كوني حذرة يا « طوني » ، أخشى أن يفتضح أمرك يوماً ما !

ـ لقد اعتدت القيام بالنزهات بمفردي ، كما أنني أتذرع بالقيام بزيارتك بعض الأحيان لكي يدعني الخوذي وشأني . كما انني أقول له في معظم الأحيان إننا نقوم بالنزهات فوق الحصان معا .

ـ لكنه يعرف جيداً انني لا أملك جياداً أصيلة تسمح لي بمرافقتك في جولاتك ! وأخشى أن يشك في الأمر .

ـ لِمَ لمْ تفاتحيني بالأمر يا « ليتونيا » ؟ سأرسل لك حصانين في الحال .

ـ لا ، ليس هذا ما قصدت ، قالت « ليتونيا » بنوع من الحرج .

ـ إننا أكثر من شقيقتين يا « ليتونيا » ، إن ذلك يسعدني كثيراً وقد اعتدنا على تقاسم كل شيء . وأريد أن تأتي وتعيشي معي في القصر .

ـ هذا كل ما أتمناه ولكن الآنسة « وادسون » كانت في غاية اللطف

عندما وافقت على العيش في المنزل بعد سفرك إلى لندن ولا يمكننا أن نطلب إليها الرحيل الآن !

ـ لا ، هذا أمر غير معقول ، لقد أشرفت على تربيتنا بكل تفان ، سننتظر قليلاً ريثما تعود قريبتي « أليس » إلى لندن عندها يمكنك أن تأتي برفقة الآنسة « وادسون » وتعيشان إلى جانبي في القصر .

ـ إنها فكرة رائعة ، صاحت « ليتونيا » ، كما أن « أليس » لا يمكنها أن تستغني عن الحياة في لندن .

ـ طبعاً . إن مكوثكما إلى جانبي سيسهل عليّ أمر لقاء « إيفن » وأعتقد أن « أليس » ستعود إلى لندن بعد أسبوع أو أسبوعين على الأكثر .

كانت « ليتونيا » تنتظر بفارغ الصبر سفر « أليس » إلى لندن وخشيت أن يكون لهذه الرسالة التي بعثتها لها « طوني » علاقة بالإقامة معها في القصر .

إن « ليتونيا » تحتفظ بذكريات جميلة للغاية في القصر ، حيث كانت تلعب برفقة « طوني » . وتيقنت الفتاة لأول مرة أن القصر لم يعد ملكاً «لطوني» بعد الآن بل لعمّها «كنريك كومب»، فلا بد أن يسكن هذا الأخير في القصر بعد عودته من الهند ! لم تكن « ليتونيا » تعرفه وخشيت ألا يوافق على إقامتها بالقرب من « طوني » .

كانت « ليتونيا » تتصرف داخل القصر كما تتصرف في منزلها تماماً ، لقد تبدل كل شيء الآن . فبعد زواج «طوني» واستقرار اللورد في القصر ستعامل كالغريبة تماماً وسيفرض عليها أن تقرع الباب وتنتظر أن يؤذن لها بالدخول .

ورغم كل ذلك كانت « ليتونيا » مصممة على التمتع بهذه الشهور

القليلة إلى جانب « طوني » .

وتوقف حصانها أمام باب القصر وقفزت الفتاة بسرعة وسلمت الحصان إلى الخادم ، وصعدت السلم بسرعة وتوجهت نحو غرفة « طوني » دون استئذان .

- صباح الخير يا « هاري » ، قالت محيية أحد الخدم .

- صباح الخير يا « ليتونيا » أجاب مبتسماً .

- أين هي الآنسة « طوني » . سألت.

- في غرفتها ، إنها تنتظرك بفارغ الصبر .

ولم يرافقها الخادم إلى غرفة « طوني » فقد كانت تعرف القصر جيداً وتتصرف كأهل البيت تماماً .

اجتازت « ليتونيا » الممر الطويل المؤدي إلى الغرفة الكبيرة التي تشغلها « طوني » منذ نعومة أظافرها .

ودخلت الفتاة إلى الغرفة دون استئذان . كانت « طوني » تجلس قبالة النافذة تتأمل الحديقة . وقفزت من مكانها فور رؤية قريبتها وقالت :

- لقد وصلت أخيراً يا « ليتونيا » ، يا إلهي كم أنا بحاجة إليك .

وتوجهت نحو قريبتها وارتمت بين ذراعيها ومكثت على هذه الحال عدة دقائق .

- لقد جئت فور وصول رسالتك المستعجلة قالت أخيراً « ليتونيا » فما الأمر ؟

- ليس لدي القوة لأقص عليك مشكلتي ، أجابت « طوني » بلهجة متهدجة .

فخافت « ليتونيا » وسألت بإلحاح :

- قولي ما الأمر أرجوك ، يبدو أنك مرتبكة للغاية . هل يتعلق

الأمر بالمركيز ؟

- لا ، لا طبعاً لا . أجابت « طوني » بحدة .

وشعرت « ليتونيا » بنوع من الارتياح لجواب قريبتها .

- كنت أخشى حصول مشكلة ما يقرر إثرها المركيز عدم الزواج منك .

- لا إن الأمر لا يتعلق « بإيثن » ، إنه لا يعرف شيئاً .

- إذاً ما الأمر قولي أرجوك ؟

وبعد صمت طويل قالت « طوني » بلهجة متهدجة :

- إن الأمر يتعلق بعمي « كتريك » ! لقد عاد إلى إنكلترا ويريد أن يراني .

ابتعدت « ليتونيا » عن « طوني » ونظرت إليها باستغراب .

- إنني لا أفهم شيئاً . إنه شيء طبيعي أن يطلب رؤيتك إنه ولي أمرك الآن .

تنهدت « طوني » بعمق وقالت :

- سأشرح لك كل شيء . تعالي نجلس أمام النافذة .

توجهت الفتاتان نحو النافذة وجلست الواحدة قبالة الأخرى ولاحظت عندها « ليتونيا » أن عيني « طوني » مليئتان بالدموع . فأمسكت يدها وقالت مشجعة :

- أخبريني ما الأمر . وإنني أعدك بأن أقدم لك كل المساعدة .

وتنهدت « طوني » مجدداً وبدأت :

- لقد حدث ذلك منذ أربعة شهور . . .

- ماذا ، ماذا حدث ؟

- إن الأمر يتعلق بشاب تعرفت إليه في لندن خلال إقامتي هناك .

- من هو هذا الشاب ؟

- إنه يدعى « أندرو لودينغتون » . لقد كان في الهند وحضر إلى إنكلترا من أجل قضاء إجازته .

وتذكرت «ليتونيا» فجأة حادثة وفاة والديها في أثناء عودتهما من الهند لكنها فضلت عدم إثارة الموضوع فتابعت « طوني » :

- إنه شاب جذاب ويجيد الرقص ، كان في غاية اللطافة .

- لقد وقع في حبك أليس كذلك ؟

- أجل ، أجابت « طوني » حاولت إفهامه بمختلف الطرق أنني أحب شخصاً آخر لكنه أصرّ على ملاحقتي . كان يكتب إلي الرسائل باستمرار ويطلب إليّ الزواج منه ، وقد ضايقني في الفترة الأخيرة .

ولزمت « ليتونيا » الصمت ، فقد كانت قريبتها باهرة الجمال وتوقعت أن تتعرض إلى مثل هذه المشاكل .

- تابعي ، قالت لها بلهجة آمرة .

- كان يلاحقني في كل مكان ، فقلت له أخيراً أن يدعني وشأني وأفهمته أنني لا أريد رؤيته في المستقبل .

ورغم سكوت « طوني » ، عرفت « ليتونيا » أن القصة لم تنته بعد فسألت :

- ما الذي حصل بعدها ؟

- لقد حاول الانتحار .

- ماذا ؟

- أجل لقد حاول قتل نفسه ، فأطلق على نفسه النار ولحسن الحظ أنه لم يمت فلم تصب الرصاصة قلبه .

- وما الذي فعلته عندها ؟

- وما الذي تريدين أن أفعله ؟ لقد تأسفت فعلاً للأمر . لكنني لم أكن المسؤولة عن هذه الغلطة .

- إنك تقولين إن هذه الحادثة وقعت منذ عدة أشهر . فما سر خوفك من هذا الموضوع الآن ؟ لقد انتهت القصة على ما أعتقد .

- لقد تحدثت والدة « أندرو » في هذا الموضوع مع عمي « كنريك » .

- فثارت ثائرته على ما أظن !

- أجل إنه شديد الغضب .

- ولهذا السبب يريد رؤيتك أليس كذلك ؟

ولم تستطع « طوني » السيطرة على أعصابها فقالت بصوت عال :

- إنه يريد أن يصطحبني معه إلى الهند ! إنه يرى أنني تصرفت فعلا بطريقة غير لائقة مع « أندرو » ويظن أيضا أن « أليس » لم تقم بواجباتها على أكمل وجه في مراقبة تصرفاتي .

- يمكنك أن تشرحي له موقفك . وأعتقد أنه سيتفهم وضعك .

- وهل تعتقدين أنه سيصدقني ؟ إنه رجل متسلط ، لن يصدقني ويكذب والدة « أندرو » هذا أمر طبيعي .

وتناولت « طوني » رسالة كانت موضوعة فوق الطاولة ومدتها إلى « ليتونيا » قائلة بلهجة راجية :

- ساعديني يا « ليتونيا » ، لا بد لك من مساعدتي ، لا أريد الذهاب إلى الهند برفقة عمي « كنريك » وإلا سأفقد « إيفن » .

وفهمت «ليتونيا» من الطريقة التي كانت «طوني» تتحدث بها أنها تموت خوفاً لفكرة الابتعاد عن «إيفن» . كانت تخشى أن يغير هذا الأخير موقفه من الزواج بـ « طوني » في حالة تأثير هذا الخبر على حالة والده الصحية كما أن ابتعادها عنه قد يلعب دوراً كبيراً في عدوله عن الزواج بها .

كانت متأكدة أيضا أن « طوني » ستفعل المستحيل من أجل البقاء

www.elromancia.com

بالقرب من « إيڤن » فهي غير قادرة على الابتعاد عنه في هذه اللحظات الحاسمة من حبهما المتبادل.

فتحت « ليتونيا » الرسالة وأخذت بقراءتها .

« ابنة أخي العزيزة »

لقد صعقت حقاً إثر الرسالة التي استلمتها من الليدي « لودينغتون » والمتعلقة بولدها « أندرو » . وفوجئت أيضاً بكل ما وصلني من أخبار حول تصرفاتك النابية وغير اللائقة في لندن . إنني ألوم في ذلك قريبتنا « أليس » التي لم تحسن الإشراف على حياتك وتوجيهك .

لهذا السبب لقد قررت أن أصطحبك معي إلى الهند حيث لا بد لي من العودة خلال ٤ أيام ، فمن المستحسن ، ومن أجل مصلحتنا نحن الاثنين أن نتعارف بطريقة أعمق .

ولسوء الحظ يصعب عليّ في الظروف الحالية الذهاب لزيارتك في القصر ، لذا أطلب إليك الالتحاق بي في منزل العائلة في « كرزون ستريت» قبل يوم الأربعاء المقبل.

سنسافر إلى « تيلبوري » في اليوم التالي حيث حجزت على متن الباخرة « الاوديسة » من أجل الذهاب إلى الهند .

لقد عبرت لليدي «لودينغتون» باسمي وباسمك عن فائق أسفنا للحادث الذي تعرض له ابنها والذي بدأ يتماثل للشفاء التام .

ولحسن الحظ أن الجرائد لم تطل هذه الحادثة ولم يمس شرف العائلة بسوء .

أرجو أن تكتبي لي حول موعد وصولك إلى المحطة ويمكنني بذلك أن أرسل عربة من أجل اصطحابك إلى القصر .

عمك برانسكوب

ملاحظة : « أعتقد أن الأمر لا يخفى عليك فقد أصبحت بعد وفاة والدك وصي أمرك الوحيد » .

أكملت « ليتونيا » الرسالة ونظرت إلى « طوني » قائلة :

ـ آه يا عزيزتي لا بد لك من السفر ، إنه ولي أمرك الآن وقد ذكرك بذلك في الرسالة يجب إطاعة أوامره .

ـ لن أسافر ، إنني أرفض ذلك ، صاحت « طوني » بكل قوة .

ـ ليس لديك الخيار في ذلك . إنه الشخص المسؤول عن ثروتك الآن وبإمكانه أن يقطع عنك مورد رزقك في حالة رفضك الانصياع لأوامره .

ـ إنني أكره عمي « كنريك » ! وأعتقد أن والدي كان يكرهه أيضاً !

ـ ما الذي يدعوك إلى قول ذلك ؟

ـ لقد كان عمي « كنريك » شديد الذكاء ، وكان والدي يشعر بنوع من الحرج أمامه .

وفهمت « ليتونيا » أن « طوني » تحاول بمختلف الطرق إيجاد الذرائع والحجج ضد عمها « كنريك » . وكانت تعلم جيداً أن اللورد « برانسكوب » كان فخوراً بشقيقه وبالبطولات التي حققها في الهند .

ـ إنك قادرة على التأثير فيه ، إنني متأكدة من ذلك ، وسيتفهم وضعك وقصتك مع أندرو لودينغتون . وسيسمح لك بالعودة إلى انكلترا في أسرع وقت.

ـ لا إنني لا أظن ذلك ، أجابت « طوني » بحدة ، إنه الشخص المسؤول عن حياتي الآن ولن يسمح لي بالعودة إلى إنكلترا بهذه السهولة ، ولا تنسي أن التعامل مع وصيّ أمري لن يكون سهلاً أبداً . إنني أجد صعوبة في التفاهم مع أفراد العائلة .

www.elromancia.com

- أرجو أن تستثنيني من هذه القاعدة يا «طوني»، أجابت «ليتونيا»

- طبعاً ، إنك لست قريبتي وحسب بل جزء مني كما أنني جزء منك (وتنهدت بعمق وأضافت) إنك حقاً محظوظة يا « ليتونيا » فليس لديك أقرباء من عائلة برانسكوب (ونهضت من مكانها فجأة وأضافت) لا أريد الذهاب إلى الهند ! لا ، لا ، إنني لا أريد ذلك ولن يستطيع أحد على إكراهي على السفر .

- إنني لم أقل لك شيئاً ، احتجت « ليتونيا » ، ولكن لا بد لك من إطاعة أوامر عمك .

- لو سافرت سأخسر « إيفن » . إن حدسي لا يخطىء أبداً ! سيحاول والده أن يطلب إليه وهو على فراش الموت أن يتزوج بالفتاة أو الأميرة التي اقترحها عليه . وسيجد « إيفن » نفسه مرغماً على تحقيق رغبة والده خاصة إذا كنت بعيدة عنه آلاف الكيلومترات .

- هل هو ضعيف لهذه الدرجة ؟

- أجل ، أعتقد ذلك ، إنه لا يقوى على مخالفة رأي والده لقد ربي بطريقة خاصة جداً .

- وهل تعتقدين أن ابتعادك عنه سيجعله ينسى الحب الذي يكنه لك؟

- لا ليس الامر بهذه السهولة لكنني أخشى من تأثير والديه فيه .

- وما الحل إذاً ؟ سألت «ليتونيا».

ونظرت « طوني » إلى قريبتها قائلة :

- إنني أعرف جيداً ماذا يمكنني أن أفعل أو بالأحرى ماذا يمكنك أن تفعليه من أجلي .

وصمتت عدة دقائق فيما كانت حدقتا « ليتونيا » تتسعان تعجباً ثم أضافت بصوت خافت :

- « ليتونيا » ، ستسافرين مع عمي « كنريك » إلى الهند !

٢

نظرت «ليتونيا» إلى « طوني » وهي لا تصدق ما جاء على لسان قريبتها .

- إنك تهزلين دون شك ! قالت أخيراً .

- لا أبداً ، إنني جادة . هل لديك حل آخر ؟

- ولكن . . . كيف . . . هذا غير ممكن !

- لقد قابلت عمي « كنريك » في الحقيقة عندما كنت في العاشرة من العمر .

- إنه يتذكرك جيداً .

- إننا نتشابه كثيراً ، أجابت « طوني » .

كان ذلك صحيحاً : نفس العيون الزرق ونفس الشعر الاشقر ونفس القامة تقريباً . إلا أن طابع الطفولة كان يغلب على جمال « ليتونيا » فيما ظهرت « طوني » أكثر نضوجاً منها . فقد عاشت « ليتونيا » حياة هادئة في الريف ولم تخالط المجتمعات الراقية فحافظت على البراءة في نظراتها وتصرفاتها .

ورغم ذلك كان الشبه الذي يجمعهما كبيراً للغاية .

- لا ، لا يعقل القيام بهذه اللعبة ، رددت «ليتونيا»، ولنفرض أن

www.elromancia.com

عمك فضح أمرنا ؟ هل يمكنك تصور غضبه بعد ذلك ؟

- سيغضب دون شك ، ولكنك ستكونين في الهند في الطريق إلى تلك البلاد . أما أنا فسأكون إلى جانب « إيڤن » . على كل حال ان أيام الدوق معدودة فحالته الصحية سيئة للغاية .

ولم تجب « ليتونيا » فلم تكن تتوقع أن تتحدث « طوني » بهذه الطريقة عن والد « إيڤن » . يبدو أنها تتمنى موته في أسرع وقت ممكن.

- إنني متأكدة بأن « إيڤن » سيتبعك إلى الهند فور تحسن حالة والده الصحية . قالت « ليتونيا » أخيراً ، إنه الحل الوحيد يا « طوني » .

- ولنفرض أنه لم يفعل ذلك ؟

- لكنه يحبك!

- إنني أخشى الضغوط التي سيتعرض لها ، لقد رددت لك ذلك عدة مرات . إياك أن تنسي مركزه الاجتماعي، سيصبح دوقاً بعد وفاة والده ولا يمكنه التخلي عن كل هذه الامتيازات بهذه السهولة .

- هل تطلبين مني حقاً أن أسافر عوضاً عنك مع وصي أمرك !

- إنني لا أطلب منك ذلك ، بل أرجوك القيام بهذه المهمة لا بد لي من البقاء هنا من أجل إنقاذ حبي « لإيڤن » . إن وجودي إلى جانبه سيؤثر في قراره . إن والده سيطلب إليه دون شك أن يتزوج الفتاة التي اختارها له وهو على فراش الموت .

وفهمت « ليتونيا » أن « إيڤن » لا يمكنه في هذه الحالة رفض طلب والده الأخير خاصة إذا كانت « طوني » بعيدة عنه . فتحليل هذه الأخيرة مقنع للغاية .

- إنني أريد مساعدتك يا «طوني» . إنك تعرفين جيداً العواطف الأخوية الصادقة التي أكنها لك ، ولكنك تطلبين الكثير . . . إنه أمر خطير ، ولا يمكنني القيام بذلك .

- ولكن لماذا ؟ إنني متأكدة أنك ستتصرفين مع عمي كما كنت ستتصرف تماماً وفي كل الظروف . لقد تربينا معاً . وإنها فرصة عظيمة بالنسبة إليك من أجل التعرف على الهند والتعرف على أشخاص جدد هناك .

- أشخاص جدد، ماذا تقصدين؟ أجابت «ليتونيا» بغضب ، وما الذي سيقوله عمك عندها ! إنه يريد أن يصحبك إلى الهند من أجل هذه التصرفات بالضبط !

- إنك على حق ، إنه رجل قاس للغاية أجابت « طوني » .

- لقد أحب والدي ووالدتي الهند (أجابت « ليتونيا » وتنهدت بعمق) آه يا « طوني » لقد تحدثا بشأني إلى عمك « كنريك » ، وقد يكتشف أنني لست ابنة أخيه وما الذي سيحدث عندها ؟

- إنه لم يرَ صورتك كما أنه لم يرَ صورتي منذ مدة طويلة ، إنني لا أرى السبب الحقيقي الذي يدعوه إلى اكتشاف الحقيقة .

- إنني خائفة أجابت « ليتونيا » .

- لا داعي للقلق . لا شك أن والدتك قد تحدثت عنك مطولاً أمام عمي « كنريك » لكن ذلك لا يكفي لكي يتعرف عليك . وقد تحدثت عني أنا أيضاً ، إنك الفتاة «العاقلة» أما أنا فإنني الفتاة « المتهورة » .

- لا إنك لست متهورة يا « طوني » ، انها طبيعتك ولا يمكنك فعل أي شيء ضد ذلك .

وابتسمت « طوني » لأول مرة منذ بدء الحديث .

- سيتعجب عمي « كنريك » كثيراً عندما يراك وسيظن أنني خفت من تهديداته فحسنت سلوكي . (ووضعت يدها فوق كتف « ليتونيا » وأضافت) لقد كنت متأكدة يا عزيزتي أنك لن ترفضي

رجائي هذا . . . ولكن لا بد لنا من إعداد خطة في أسرع وقت. لا بد لك من السفر إلى لندن يوم الثلاثاء فلا يمكننا إضاعة لحظة واحدة .

بدت « ليتونيا » مترددة فأضافت « طوني » محاولة إقناعها :

ـ لا بد من إقناع الخدم بأنني سافرت إلى الهند برفقة عمي .

ـ ولكن أين ستقيمين إذاً ؟ سألت « ليتونيا » باستغراب .

ـ لا تكوني حمقاء يا عزيزتي ، سألعب دورك كما ستلعبين دوري ولهذا لا بد لي من الإقامة في منزلك . ولن يعرف سرّي سوى الآنسة « وادسون » إنني متأكدة أنها قادرة على حفظ سرّي .

وبالفعل فقد كانت « طوني » على حق ، فالآنسة « وادسون » كانت تظهر عطفاً خاصاً تجاه « طوني » في الوقت الذي كانت تشرف فيه على تربية الفتاتين ، فكانت تلبي كل طلباتها وتحاول التغاضي عن التصرفات الصبيانية التي كانت تقوم بها في صغرها وتفضل عدم إثارة مثل هذه المواضيع أمام والديها خوفاً من إثارة غضبهما .

ـ هل ترغبين حقاً في الإقامة في منزلي ؟

ـ طبعاً ! يمكنني بذلك الخروج للقاء « إيفن » دون أية صعوبة ، إنك تتمتعين بسمعة جيدة جداً في الريف يا « ليتونيا » ولن يشك أحد في الأمر .

ـ ولنفرض أن الدوق اكتشف سر لقائكما ؟

ـ لن يعرف شيئاً ودعي هذا الأمر لي . سأحاول أن أكون حذرة قدر الامكان فلا داعي للقلق لقد تدبرت أموري بكل لباقة حتى الآن !

ـ كوني حذرة يا « طوني » أرجوك ، إن ألسنة الناس لا ترحم أبداً وأخشى أن يصل الخبر إلى مسامع الدوق وأخشى أن يمنع ابنه من لقائك .

ـ لن يذعن « ايفن » لمثل هذا الطلب ، إنه يحترمه ويقدره كثيراً لكن موضوع زواجه أمر شخصي لن يسمح لأي كان أن يفرض عليه رأيه ، ولكنني رغم ذلك لا أريد أن أسبب له أية مشاكل .

ـ إنني أفهمك جيداً ، أجابت « ليتونيا » ، لقد كانت والدتي تردد دائماً أنه لا بد من المحافظة على الرجل الذي نحب .

ـ ولهذا السبب لا بد لك من مساعدتي لكي أحافظ على « إيفن » .

كان باستطاعة « ليتونيا » أن ترفض فكرة « طوني » لكنها كانت تكن لهذه الأخيرة عاطفة وحباً كبيراً فصعب عليها أن ترفض رجاءها . فقررت مساعدتها على إنقاذ حبها للمركيز مهما كلف الأمر حتى ولو كان ذلك مقابل تضحية كبيرة من طرفها . وشعرت « ليتونيا » أنها لن تسامح نفسها أبداً لو رفضت طلب « طوني » وأقدم المركيز على الزواج من امرأة أخرى .

« لا شيء يهمني سوى سعادة « طوني » » قالت في سرها لا بد لي من القيام بهذا الدور إلى أن يتم زواجها من المركيز ، فإن غضب عمها في هذه الحالة فلن يؤدي في أية حال من الأحوال إلى فسخ زواجها منه .

لكن «ليتونيا» كانت تشعر بخوف كبير فهي مقدمة على مغامرة غريبة وفي بلاد بعيدة . فلم يسبق لها القيام برحلة بعيدة ولم يكن والداها يملكان ما يكفي من المال من أجل القيام بمثل هذا النوع من المغامرات والأسفار . وتذكر أن والدها قال لها عشية سفره إلى الهند : إن هذه الرحلة تعتبر بمثابة شهر عسل آخر إذ إنها الرحلة الأولى التي يقوم بها بعد زواجه من والدتها .

وأخذ اللورد « برانسكوب » على عاتقه كل تكاليف الرحلة وقد

فاجأت بادرة اللورد هذه والد « ليتونيا » إلى أبعد حد فلم يستطع الاعتذار فقد كان يشعر برغبة جامحة للقيام بهذه الرحلة .

« ليتهم عدلوا عن هذه الفكرة ، قالت « ليتونيا » في سرها ، لكانوا الآن على قيد الحياة » وامتلأت عيناها بالدموع فحاولت السيطرة على أعصابها وإخفاء دموعها عن « طوني » .

إن كل ما يهمها الآن هو مستقبل قريبتها وسعادتها . فهي على غرارها تماماً وحيدة ويتيمة في هذه الدنيا . وتكمن سعادتها في العيش إلى جانب الرجل الذي تحب . كانت « ليتونيا » تعرف تماماً أن كل تصرفات « طوني » ورغبتها في مخالطة الناس وحضور الحفلات كان ناتجاً عن فقدانها للعاطفة ، فالتمتع بالحياة بطريقتها الخاصة كان محاولة للخروج من الجو الضاغط الذي كان يسيطر على حياتها في القصر .

ـ لست أدري ما كانت ستفعله « طوني » لولا وجودك إلى جانبها ، كانت تردد والدة « ليتونيا » باستمرار ، إنها جميلة وغنية وتسكن في قصر من أفخم القصور لكنني أشعر دائماً أنها فتاة تشكو من الوحدة وتفتقر إلى العاطفة .

ـ تخيلت « ليتونيا » وهي تتذكر كلمات والدتها « طوني » في صغرها ، لم تكن تعير هذه الأخيرة أية أهمية لكل ما يحيط بها في القصر ولا تولي اهتماماً كافياً لدروسها ، كانت تحاول بكل الطرق الخروج من منزلها فتمضي معظم أوقاتها في منزل قريبتها .

كانت « ليتونيا » تشعر بنوع من المسؤولية في حماية « طوني » الشديدة الحساسية فقررت مساعدتها على تحقيق سعادتها ورغم ذلك كان الحل الذي اقترحته « طوني » صعباً للغاية .

ـ ستسكنين في المنزل ، قالت « ليتونيا » بعد صمت طويل ، ولكن

ماذا ستقولين للناس الذين سيأتون لزيارتي ؟

ـ إنني أعتمد على ذكاء «وادسون» في ذلك ، ستتحجج بالمرض في بعض الأحيان ، أو أنني لست في المنزل وإنك لا تتلقين كثيراً من الزيارات على ما أعتقد !

ـ إنها الحقيقة أجابت « ليتونيا » ، فبعد وفاة والديّ قلّت الزيارات إلى المنزل .

وبعد لحظة صمت أضافت بتردد :

ـ لا بد لي أن أظهر بمظهر لائق يا « طوني » . . . وأعتقد أنك ستضطرين إلى إعارتي بعض أثوابك .

ـ لقد خططت لكل هذا يا عزيزتي ، ستأخذين كل فساتيني ، أجابت « طوني » فرحة ، حتى الفساتين التي أحضرتها معي مؤخراً من لندن .

ـ ولكن . . . كيف ؟ وما الذي ستلبسينه أنتِ ؟

وقهقهت « طوني » وأجابت :

ـ إنني أحضر جهاز العروس ! لقد أوصيت على كل ما يلزمني في لندن قبل المجيء إلى الريف ! إن ذلك سيكلفني غالياً .

ـ ولكن . . . في حالة رفض وصي أمرك دفع كل هذه المبالغ فما الذي ستفعلينه ؟

ـ لقد انتهى كل شيء الآن فلقد دفعت كل التكاليف مسبقاً ، أجابت « طوني » بلهجة حادة ، وقد لا يكتشف كل هذه الأمور إلا بعد زواجي أو حتى بعد أن أرزق بمولودي الأول !

ـ « طوني » ! صاحت « ليتونيا » بغضب .

ـ ما بالك ؟ إنها سُنة الحياة ، إن كل الذين يتزوجون يتمنون أن يرزقوا بالأطفال ، ولا بد لي أن ألد وريث « إيفن » الشرعي .

www.elromancia.com

- لا يجدر بك التحدث بهذه الطريقة يا « طوني » !

وضحكت الفتاة الثانية وقالت :

- لست أدري ما الذي يزعجك في هذا الموضوع إنه أمر طبيعي للغاية ، كوني واقعية يا « ليتونيا » !

واحمرت وجنتا الفتاة خجلاً وقالت محاولة تغيير موضوع الحديث :

- حسناً ، قولي لي الآن كيف سنقوم بهذه المغامرة دون أن يكشف أمرنا أحد ؟

- إنها مسألة ذكاء . سأخبر كل العاملين في القصر أنني سأسافر إلى الهند برفقة عمي وستأتين إلى القصر من أجل مساعدتي في تـوضيب أغراضي وسأقول أمام الخادمة لك إنني سأستغني عن بعض أثوابي لكي لا أثقل حقائبي .

ونظرت إليها « ليتونيا » باستغراب فأردفت « طوني » شارحة :

- لا بد لي من أن آخذ بعض الثياب إلى المنزل ، يجب أن أحافظ على أناقتي في أثناء لقاءاتي مع « إيفن » .

- طبعاً يا عزيزتي ، قالت « ليتونيا » ، ولهذا السبب لا أريد أن آخذ معي كثيراً من الأثواب .

- عليك أن تظهري بمظهر لائق في الهند إن عمي « كنريك » يعتبر من أكبر الشخصيات الانجليزية في الهند .

- إن الامر يزداد تعقيداً، أجابت «ليتونيا» متنهدة.

- دعيني أتدبر الأمور ، فما عليك إلا أن تثقي بي هذا كل ما في الأمر .

- ومتى ستتبادل الأدوار ؟

- هذا ما كنت أفكر فيه الآن ، سترافقيني إلى لندن من أجل توديعي . وسأطلب من السيدة « سكيفنغتون » أن تلازم القصر .

السيدة « سكيفنغتون » هي المربية التي أرسلتها « أليس » مع « طوني » إلى الريف من أجل الإشراف عليها وتدبير أمورها . كانت امرأة كبيرة السن توفي زوجها الذي كان ضابطاً في مصر فقررت القيام بمهمة المربية كسباً لبعض المال . كانت « طوني » تحاول تفاديها قدر الإمكان بسبب كثرة ثرثرتها . أعجبت السيدة « سكيفنغتون » بالحياة الهادئة في « برانسكوب » وتمنت أن تمضي بقية حياتها هناك . كانت تردد باستمرار إعجابها وراحتها في الحياة داخل القصر بعيداً عن لندن .

- مهلك ، قالت « طوني » فجأة ، لدي فكرة هائلة !

- ما هي هذه الفكرة ؟

- إنك تعرفين جيداً كم تحب السيدة « سكيفنغتون » الحياة هنا . فلن أقول لها ولأي شخص آخر إنني سأغادر إنكلترا : سأخبر الجميع أن عمي « كنريك » طلب مقابلتي ولا بد لي من الذهاب إلى لندن لمقابلته قبل عودته إلى الهند . وسأطلب من السيدة « سكيفنغتون » ألا تغادر القصر وأظن أنها ستوافق على ذلك بكل فرح . وفور وصولي إلى لندن سأرسل لها برقية أعلمها فيها أنني اضطررت للسفر إلى الهند مع عمي وأنني أستغني بذلك عن خدماتها .

- وهل تعتقدين أنها ستدعك تسافرين برفقتي إلى لندن ؟

- ستفعل ما أريده . وفور وصولنا إلى لندن لن نذهب عند عمي « كنريك » مباشرة .

- وأين سنذهب إذاً ؟

- إلى أحد الفنادق وننتظر هناك قليلاً وسنقول للحوذي أننا سنلتقي عمي « كنريك » في أي مكان من العاصمة ونطلب إليه أن يعود إلى المنزل .

www.elromancia.com

فكرت « ليتونيا » لحظة وسألت :

ـ لاأعتقد أنه سيشك بالأمر ولكن كيف ستعودين إلى القصر في هذه الحالة ؟

ـ سأستقل القطار أو أية وسيلة نقل أخرى إنني لا أخشى شيئاً في الحقيقة لقد كنت أتنقل في معظم الأحيان بمفردي عندما كنت في لندن وأذهب إلى لقاء « إيڤن » دون معرفة « أليس » .

ـ كوني حذرة يا « طوني » هذا كل ما أطلبه إليك .

ـ أرجو أن تثقي بي هذا كل ما يهمني ، وأنتِ بدورك ستستأجرين عربة لتقلك وحقائبك إلى « كرزون ستريت » .

ـ لكن عمك سيتعجب من وصولي بهذه الطريقة .

ـ ستقولين له إن أحد جياد عربتك الخاصة قد فقد حدوته في الطريق فاضطررت لاستئجار عربة لكي لا تتأخري على الموعد .

وشهقت « ليتونيا » وصاحت قائلة :

ـ أكاذيب ، أكاذيب ! لا أظن أنني أملك القدرة الكافية على القيام بهذه الأدوار يفتضح أمري في اللحظة الأولى التي يراني عمك فيها .

ـ لا أبداً يا « ليتونيا » ، أجابت « طوني » ، ستقومين بمغامرة رائعة وأعتقد أنك ستلتقين بفارس أحلامك خلال هذه الرحلة !

ـ لا تنسي يا « طوني » أنني سأقوم بتمثيل دورك هناك إن أية مغامرة من هذا النوع ستؤدي إلى الفشل عندما تكتشف حقيقة هويتي .

وضحكت « طوني » بصوت عال وأجابت :

ـ إن كان يحبك حقاً فلن يتخلى عنك إن كنت « ليتونيا هيث » أو « ليتونيا برانسكوب » . فإن كان « إيڤن » مهتماً بثروتي فإنني متأكدة أنه يحبني بصدق .

قالت « طوني » جملتها الأخيرة بنوع من التردد وكأنها تشك في حقيقة كلماتها .

ـ إنك على حق يا عزيزتي سأفعل كل ما في وسعي من أجل سعادتك .

ـ كنت متأكدة من مساعدتك لي . يمكنني الاعتماد عليك إذاً وإياك أن تتفوهي بكلمة واحدة بما جاء في رسالة عمي « كنريك » .

وأمسكت « طوني » الرسالة ووضعتها في درج خزانتها وأقفلت عليها بالمفتاح .

ـ والآن سأخبر السيدة « سكيفنغتون » وبقية العاملين في القصر أنني مضطرة للسفر إلى لندن من أجل مقابلة عمي قبل عودته إلى الهند . وسأقول لهم أيضاً إنني لا أعرف كم من الوقت سأضطر للبقاء هناك ولذا سآخذ معي قسماً كبيراً من ثيابي .

ـ إنها فكرة جيدة أجابت « ليتونيا » دون اقتناع .

ـ إنك توافقيني الرأي أخيراً !

جلست « ليتونيا » ، بعد مرور ثلاثة أيام على وصول الرسالة إلى جانب قريبتها في العربة الفخمة التي ستقلهما إلى لندن . كانت تشعر بنوع من الارتباك والعصبية وتسارعت ضربات قلبها كلما قلّت المسافة التي تبعد عن العاصمة . واستغربت من نفسها وهي تلبس أحد أجمل فساتين « طوني » ولم تكن معتادة على ارتداء أثواب الحرير فمعظم فساتينها وأثوابها كانت من النوع العادي جداً . ظنت « ليتونيا » نفسها تعيش حلماً غريباً عندما رأت الأثواب الفاخرة والحقائب العديدة التي أعدتها لها « طوني » كي تأخذها معها إلى الهند . وخشيت أن تلاقي صعوبة فيما بعد في العودة إلى حياتها العادية والبسيطة . كما لاقت الفتاة صعوبة كبيرة في الاسترسال في النوم في

الأيام الثلاثة الماضية وكانت تستيقظ كل مرة خائفة وآلاف الأسئلة تجول في خاطرها .

ما الذي كان سيقوله والداها حول هذا المشروع ؟ لقد كانا يحبان « طوني » ويعاملانها كابنتهما تماماً وكانا يتمنيان لها كل السعادة ويعملان المستحيل من أجل إسعادها .

واستطاعت « ليتونيا » أخيراً من التعرف على المركيز فوجدته شخصاً لطيفاً وجذاباً واقتنعت بأنه الزوج المثالي « لطوني » . فقد كانت تراه وهي طفلة شاباً قاسياً متكبراً وغريب الأطوار أما بعد لقائها به إثر اصطحاب « طوني » في أحد الأيام إلى موعدها معه فقد غيرت رأيها ونظرتها إليه تماماً .

بدا من نظرته وطريقة حديثه معها أنه مغرم بها إلى أبعد حدود وتأكدت أن سعادة قريبتها توجد بين يدي هذا الشاب .

ـ لقد حدثتني « طوني » مطولا عنك يا آنسة « ليتونيا » ، قال لها يومها ، كيف لي أن أشكرك على هذه التضحية التي تقدمينها لنا ؟

ـ كل ماأطلبه هو أن تسعد « طوني » ، أجابت .

ـ هذا كل ما أتمناه ولكن أرجو أن تتفهمي موقفي لا يمكنني أن أضايق والدي وهو مريض طريح الفراش وأخشى أن يؤثر الخبر في حالته الصحية .

وفي أثناء عودتها إلى المنزل ، بعد لقاء المركيز ، بادرت « طوني » قريبتها قائلة :

ـ والآن ما رأيك بالمركيز ؟

ـ إنه لطيف للغاية ، إنه الرجل المناسب لك فعلاً !

وقفزت « طوني » من مكانها وطبعت قبلة فوق جبين « ليتونيا » وأجابت :

ـ لقد كنت متأكدة من ذلك ، إنني أحبه يا « ليتونيا » وأعدك بأن أكون زوجة مثالية ودوقة ممتازة ولن أتصرف مثل والدته أبداً .

ـ من الأفضل ألا تنتقدي أهل زوجك يا « طوني » ، أجابت « ليتونيا » بنوع من اللوم .

ـ لقد توفيت الآن رحمها الله لكنها كانت امرأة متعجرفة وتأكدي تماماً أنني لا أتفوه بكلمة واحدة من هذا النوع أمام « إيڤن » إنها والدته رغم كل شيء ، وأذكر تماماً أن والدته هي التي شطبت أسماء والديّ من لائحة المدعوين إلى قصرها عندما قامت الملكة بزيارة « هامبتون تاورز » وذلك بسبب الخلاف على الأرض !

ـ حاولي أن تنسي كل ذلك الآن يا « طوني » فما جدوى تذكر كل هذه الأمور إن مثل هذه المواضيع ستزعج « إيڤن » دون شك حاولي التفكير بالمستقبل .

ـ هذا ما أحاول القيام به إن مستقبلي هو إلى جانب « إيڤن » إنني مستعدة لنسيان كل هذه التفاهات والمشاكل .

وبهذه الكلمات عرفت « ليتونيا » أنها استطاعت اقناع « طوني » بالعدول عن فكرة الانتقام أو إثارة المشاكل . وقررت أن تساعد « طوني » في تحقيق سعادتها مهما كان الثمن إلى أن يتم زواجها « بإيڤن » .

فور وصول الفتاتين إلى لندن توقفت العربة أمام أحد الفنادق الفخمة حيث كانت « طوني » قد حجزت غرفة باسمها وشعرت « ليتونيا » بالقلق وهي تصعد سلم الفندق .

مكثتا في الغرفة بضع دقائق فقط عبرت « ليتونيا » خلالها عن قلقها من عودة « طوني » وحيدة إلى الريف .

ـ لقد تدبرت كل الأمور سينتظرني « إيڤن » بعربته خارج مدينة

لندن وسيصحبني إلى منزلك ، فلا داعي للخوف ، لقد تحولت منذ اللحظة إلى الآنسة « ليتونيا هيث» وأنت إلى الآنسة الفاضلة « ليتونيا كومب » . مفهوم .

ـ « ليتونيا » ؟

ـ أجل إن عمي « كنريك » لا بد أن يناديني باسمي الحقيقي ، فهو لا يعرفني باسم « طوني » ولا أعتقد بأنه سيحب هذا الاسم الصبياني . وبهذا لن تجدي أية صعوبة عندما يناديك .

ـ لقد أحسنت الفعل في إعطائي هذه المعلومات قبل أن نتبادل الأدوار .

ـ إنني لا أجد الكلمات المناسبة لأشكرك يا« ليتونيا » ، إنك أكثر من توأمة بالنسبة إلي ، قالت « طوني » . سأرسل لك برقية فور زواجي من « إيفن » ويمكنك بعدها العودة إلى المنزل .

ـ أرجو ذلك !

ـ سأحاول أن أكون حذرة قدر الإمكان وأرجو أن يتدبر أمر زواجي « بإيفن » دون أية صعوبة .

ـ هذا خير ما تفعلين يا « طوني » ولا بد لك من اختيار الوقت المناسب لإعلان الزواج .

وسرت قشعريرة في جسد « ليتونيا » مع اقتراب فراقها عن « طوني » فضمتها إلى صدرها وصاحت قائلة :

ـ آه أرجوك يا « طوني» ، حاولي أن تتزوجي في أسرع وقت ممكن ، إنني لا أجيد الكذب والتمثيل وأخشى أن أفقد أعصابي في حالة تعرضي لبعض الضغوط وإنني لا أجرؤ حتى على تصور غضب عمك عندما يكتشف الحقيقة .

ـ سيسكب كل غضبه عليّ ، أجابت « طوني » محاولة التخفيف عنها ، ولكن لا بد لك من تحمل ذلك عوضاً عني .

ـ سأتحمل كل شيء تمتمت « ليتونيا » دون أن تسمعها « طوني » وتبادلت الفتاتان بعض أطراف الحديث لبضع دقائق وهبطتا بعدها إلى صالة الفندق .

وبلهجة جادة أمرت « طوني » الحوذي بأن يضع الحقائب التي ستأخذها « ليتونيا » في إحدى عربات الأجرة والتي ستقلها إلى « برانسكوب هاوس » .

أما ملابس « طوني » فقد كانت قد نقلت بطريقة سرية إلى منزل « ليتونيا » في الريف قبل عدة أيام . وتذكر « ليتونيا » أن قريبتها قالت لها يومها :

ـ كم أحب منزلك المتواضع ! وكم كنت أحب أن أقوم بزيارتك عندما كنت صغيرة .

وشعرت الفتاة بنوع من الارتياح لفرحة « طوني » فقد كان منزلها متواضعاً للغاية خالياً من أي أثر للتحف الثمينة والأثاث الفاخر أو حتى اللوحات الفنية النادرة فأجابتها يومها مغتبطة :

ـ أتمنى لك إقامة سعيدة في منزلي إذاً وأرجو أن تحققي سعادتك على غرار سعادة والدي ووالدتي .

ـ لقد كنت ألاحظ دائماً في كل مرة كنت أنظر إليهما فيها البريق الذي كان يلمع في عيونهما . كان حبهما يسيطر على أجواء المنزل وهذا ما أتمنى أن أحققه في منزلي وإلا فإنني لا أتزوج أبداً .

ضحكت « ليتونيا » لهذه الفكرة وأجابت :

ـ إنني لا أصدق كثيراً هذا الاحتمال .

ـ أرجو ذلك ! ولكن في حالة عدم زواجي من « إيڤن » ، أعتقد أني لن أعرف الحب بعدها .

وإزاء لهجة « طوني » الجدية أجابت « ليتونيا » محاولة مداعبتها :

ـ ولكنك ستتزوجين « بإيڤن » وستعيشان سعيدين إن شاء الله !

ـ ولن أنسى مدى حياتي فضلك عليّ في هذه السعادة يا « ليتونيا » ، لكنني أشعر بنوع من الأنانية وحب الذات في تصرفاتي معك ففي الوقت الذي سأنعم فيه بأوقاتي وزواجي من « إيڤن » ستتعرضين لمضايقات وتوبيخات عمي « كنريك » الذي سيؤنبك على تصرفات لم تقومي بها !

ـ إنك تخيفينني ! أجابت « ليتونيا » ضاحكة .

ـ لا داعي للخوف ؛ ستبتعدين عنه فور زواجنا ، لقد وعدتك بأن أبرق لك في هذا الشأن . ولن يتمكن من توجيه أية كلمة جارحة لك عندما يكتشف الحقيقة إنه ليس ولي أمرك ولا يملك أي حقوق عليك . ستعدّين حقائبك وتعودين إلى إنكلترا .

وفكرت « طوني » أن « ليتونيا » ستعود إلى إنكلترا دون موافقة عمها ولذا ستحتاج إلى بعض المال فأضافت :

ـ هذه ٣٠٠ ليرة يا عزيزتي حاولي الاحتفاظ بها ، ستحتاجين إلى بعض المال من أجل العودة إلى لندن .

ـ لكنني لست بحاجة إلى كل هذا المبلغ الضخم من المال ، صاحت « ليتونيا » .

ـ أجل وتذكري دائماً أنك فتاة غنية ولا بد لك من إعطاء بعض الإكراميات للخدم من وقت إلى آخر .

ـ إنني لا أحسن التصرف في مثل هذه المواقف . ولا أعرف ما هو الوقت المناسب من أجل القيام بذلك .

ـ ستتعلمين كل هذا ، أجابت « طوني » ، إن أهم ما في الأمر هو أن يكون لديك مبلغ كاف من المال من أجل العودة إلى إنكلترا دون طلب مساعدة من عمي « كنريك » .

وارتاحت « ليتونيا » لهذه الفكرة . فشكرت « طوني » وطلبت إليها أن تكون حذرة ووعدتها بأن ترد لها ما تبقى من المبلغ فور عودتها إلى المنزل .

ـ سأهتم بدوري بكل ما يتعلق بالمنزل كوني مطمئنة من هذه الناحية .

ـ ستصبحين زوجة مثالية يا « طوني » في المستقبل ! قالت لها « ليتونيا » مداعبة .

ـ آه أجل ، سأفعل كل ما في وسعي من أجل إسعاد « إيڤن » . وسأقوم بدور الدوقة على أكمل وجه ، سأحضر بذلك افتتاح البرلمان وأجلس بجوار أهم سيدات المجتمع .

ـ آه يا « طوني » إنك حقاً فريدة من نوعك ! إنني أجد صعوبة في تخيلك وأنت دوقة .

ـ ألا يليق بي هذا اللقب ، سألت « طوني » ضاحكة ، إنني أريد كل شيء .

وقهقهت الفتاتان مطولاً لهذه الفكرة .

لحظة الوداع ارتمت « ليتونيا » بين ذراعي « طوني » وامتلأت عيناها بالدموع فلم تكن تحتمل فكرة الفراق .

ـ شكراً لك يا عزيزتي ، لقد طلب إليّ « إيڤن » البارحة بأن أنقل إليك تحياته شاكراً لكل ما ستفعلينه من أجلنا .

ـ فكري بي من وقت لآخر ، تمتمت « ليتونيا » ، وما الذي سأفعله إذا اكتشف عمك « كنريك » هذه الخدعة قبل ركوبنا في الباخرة ؟

www.elromancia.com

ـ لن يكتشف أي شيء ولا داعي لشغل بالك بأفكار تافهة .

وضمت «ليتونيا» إلى صدرها وقبلتها وأضافت :

ـ قليل من الشجاعة يا « ليتونيا » وإلى اللقاء في أقرب وقت، إن شاء الله .

وابتسمت الفتاة وهي تصعد إلى العربة ولوحت بيدها إلى « طوني » التي كانت تقف أمام باب الفندق .

واتجهت العربة المحملة بالحقائب إلى كرزون ستريت وبعد اجتياز مسافة قصيرة توقف الحوذي أمام قصر ضخم .

وأحست «ليتونيا» بأن اللحظة الحاسمة قد حانت . ستقابل عم « طوني » بعد ثوان وتبدأ في حياكة أكبر كذبة في حياتها

وشعرت فور دخولها القصر بوجود شبه كبير بين قصر برانسكوب في الريف والقصر في المدينة . نفس الجو الضاغط ونفس نوعية الأثاث ونفس صور الأجداد التي كانت معلقة هنا وهناك فوق الجدران .

وتقدمها خادم مسن نحو الصالة المرمرية وفتح الباب فجأة وقال فاسحاً أمامها مجال الدخول :

ـ الآنسة « ليتونيا كومب » يا ميلورد ، قال بلهجة حادة .

شعرت «ليتونيا» فجأة بنوع من الدوار من شدة الخوف . وتوجهت إلى الجهة الأخرى من الصالة حيث شاهدت رجلاً واقفاً أمام المدفأة . كانت تتوقع أن يكون لورد « برانسكوب » شبيهاً بشقيقه الذي اعتادت أن تناديه عمي « هوبير » . ومن النظرة الأولى عرفت بأنها أخطأت التصور . كان الرجل الذي يقف قبالتها طويل القامة مفتول العضلات ولم تجد « ليتونيا » أية مسحة شبه بينه وبين اللورد « برانسكوب » أو حتى « طوني » .

ولاحظت « ليتونيا » فيما كانت تتقدم نحوه النظرات الثاقبة التي

كان يرمقها بها وشعرت بعدم قدرتها على الكذب أمام هذه الشخصية المخيفة !

وقالت في سرها، إنه يعرف حقيقة أمري دون شك وإلا ما سر هذه النظرات ؟ »

بدت لها المسافة التي كان عليها أن تقطعها بلا نهاية .

وقال لها أخيراً بلهجة آمرة دلت على كثير من الكره :

ـ لقد تأخرت ! كان يجدر بك الوصول إلى القصر قبل ساعة تقريباً .

ـ إنني . . . إنني آسفة يا عمي « كنريك » ، أجابت « ليتونيا » بتلعثم ، لقد فقد أحد الجياد حدوته فاضطررت لاستئجار عربة من أجل الوصول في الوقت المحدد .

ـ يبدو أن الحوذي لا يقوم بواجباته على أكمل وجه ، أجاب بنوع من الاستهزاء .

ولم تجب « ليتونيا » وانتظرت بصمت . ولم يصافحها اللورد « برانسكوب » ونسيت بدورها أن تنحني احتراماً .

ـ إنك هنا الآن لذا أطلب إليك أن تجلسي وأن تسمعي جيداً ما سأقوله لك .

رفعت « ليتونيا » عينيها ونظرت إليه ولاحظت أنه لا زال يرمقها بكثير من الاحتقار والكره وفهمت عندها أن تأخرها في الوصول ليس له أية علاقة بالغضب الذي كان يسيطر عليه .

وجلست فوق أحد المقاعد ووضعت يديها فوق ركبتيها دون أن تنبس بكلمة .

وبدأ اللورد « برانسكوب » :

ـ لقد شرحت لك في رسالتي بكل وضوح الأسباب التي تجبرني على

اصطحابك معي إلى الهند . إنني لن أسمح لك بالتصرف بالطريقة التي تصرفت بها حتى الآن بعد اليوم خاصة بعد وفاة والدك (وتنهد بعمق ثم أضاف) إن الأمر يتعلق فقط بما جاء على لسان السيدة « لودينغتون » بشأن تصرفاتك غير اللائقة مع ولدها ، بل هناك أمور وتصرفات أخرى وصلت إلى مسامعي وتتعلق بالفترة التي كنت تقيمين فيها عند قريبتك « أليس » .

لم تحاول « ليتونيا » الدفاع عن « طوني » ضد هذه الاتهامات التي كانت ناتجة دون شك عن غيرة بعض النساء .

فقد كانت « طوني » فتاة جذابة للغاية وذات حظوة كبيرة بين الشباب وإزاء سكوت اللورد أجابت الفتاة بتردد :

ـ إنني في الحقيقة . . . لا أفهم ماذا تقصد . . . وإن كنت مصراً على إعطاء حكمك في هذا الموضوع أرجو أن تسمع القصة على لساني ويحق لي الدفاع عن نفسي .

وبدت أمارات الاستغراب على اللورد « برانسكوب » فأجاب :

ـ إنني لا أنوي الدخول في التفاصيل معك ، فليس هناك دخان بدون نار . إنني أبعدك عن لندن من أجل مصلحتك (وعضّ على شفتيه وأضاف) أرجو أن تتحسن تصرفاتك في أثناء إقامتنا في الهند .

« إنه يحدثني كتلميذة مدرسة صغيرة » قالت « ليتونيا » في سرها . وعرفت وهي تتأمله أنه لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من العمر .

« إنه لا يخيفني » قالت في نفسها .

ـ قد تظنين أنك ستخالطين المجتمع الراقي في الهند ، أي مجتمع القصور وكبار الضباط الانجليز وغيرهم . لا ، ليس هذا ما ينتظرك هناك . (وتوقف لحظة عن الكلام وأضاف) لن تدهبي إلى الحفلات ولن تلبي الدعوات بل سترافقيني أينما ذهبت ، وقد

تضطرين لقضاء أوقات طويلة وحيدة إن ذلك سيعلمك كيف تحسنين التصرف في المستقبل .

وتخيلت « ليتونيا » غضب « طوني » لو سمعت هذه الكلمات فهي لا تقوى على سماع مثل هذا اللوم وهذا القصاص ولكانت أجابته بكل صراحة . فإن الحفلات بالنسبة إلى « طوني » أهم شيء في الحياة .

وضحكت الفتاة في سرها فقصاص اللورد هذا ، عوضاً أن يؤذيها كما كان يتصور ، يلائمها تماماً ويتماشى مع طبيعتها المحبة للهدوء والوحدة .

وأرادت أن تفاجئه فأجابت بكل احترام :

ـ طبعاً يا عمي « كنريك » إنني أتوق إلى التعرف على الهند أما الحفلات والدعوات فلا تهمني على الإطلاق .

ورفع اللورد حاجبيه ففهمت « ليتونيا » أنها أحسنت الإجابة فلم يكن يتوقع مثل هذا الرد من ابنة أخيه .

وبعد صمت ثقيل تابع قائلاً :

ـ لقد اتضح كل شيء الآن لذا أدعوك إلى أخذ قسط من الراحة قبل تناول طعام العشاء . سنسافر غداً في الصباح الباكر وأرجو أن تكوني جاهزة في الوقت المحدد .

كانت لهجته جافة وكأنه يوجه الكلام إلى جندي أخل بالقواعد العسكرية .

ونهضت الفتاة وقالت :

ـ سأكون جاهزة في الوقت المحدد ، وإنني أشكرك لأنك صارحتني بكل ما يتعلق بالحياة التي سأعيشها في الهند !

وانحنت بكل احترام وتوجهت نحو الباب دون أن تلتفت إليه وشعرت وهي تبتعد بنظراته تتبعها .

وفي المدخل كان رئيس الخدم ينتظرها فقادها إلى الغرفة المخصصة لها .

في الطريق إلى تيلبوري شعرت « ليتونيا » بنوع من الارتباك فقد حان موعد مغادرتها إنكلترا .

ولم تستطع السيطرة على توتر أعصابها عشية البارحة عندما جلست مقابلة اللورد لتناول طعام العشاء . كانت تقرأ أمارات الكره في تقاطيع وجهه القاسي . ولم تكن معتادة على هذا النوع من المواقف وعاشت كل حياتها هانئة ولم تصطدم مع أي شخص من الأشخاص . وحاولت قدر الامكان إقناع نفسها أنها ليست الشخص المقصود بكل هذه الكلمات الجارحة والاهانات .

فلم يقم اللورد بأية حركة لطيفة تجاهها ولم يتلفظ بكلمة حلوة في أثناء تناول طعام العشاء ، عللت ذلك بتربيته العسكرية الصارمة ، وفهمت ما يعاني منه الجنود التابعين لأوامره .

كان يجيب على أسئلتها بكل اختصار وبكل حزم .

« كيف يمكنه أن يظهر كل هذا الحقد تجاه «طوني»؟» تساءلت « ليتونيا » في نفسها وقررت أن تحاول التخفيف من حدة غضبه مهما كلف الأمر .

وفور انتهاء العشاء بادرها اللورد قائلاً بلهجة جافة :

ـ أنصحك بالذهاب إلى الفراش باكراً اليوم . سنقطع مسافة طويلة غداً وأخشى أن يكون البحر هائجاً .

ـ لست أدري إن كنت سأصاب بدوار البحر ، سأحاول ألا أسبب لك أي مشكل في هذه الحالة .

ـ وستكون المرة الاولى في حياتك التي لن تسببي لي بها مشاكل !

ولم تستغرب « ليتونيا » جواب اللورد الجاف بل تصورت مرة ثانية ردة فعل « طوني » لو سمعت مثل هذه الاهانات .

وقبل أن تغادر « ليتونيا » القاعة انحنت بكل احترام وقالت :

ـ تصبح على خير يا عمي « كنريك » . لن أتأخر غداً صباحاً .

أحضر لها الخادم في الصباح الباكر طعام الفطور إلى غرفتها فشربت قهوتها ولبست ثوباً أنيقاً خاصاً بالسفر ، ووضعت فوق كتفيها مشلحاً من الصوف تحسباً للبرد فوق ظهر الباخرة وهبطت إلى الصالة لملاقاة عمها «كنريك» .

كان اللورد ينتظرها في الصالة وهو ينظر إلى الساعة فوق الحائط ، لكن « ليتونيا » هبطت قبل الوقت المحدد بثلاث دقائق لكي لا تتيح له فرصة التعليق على الموضوع .

جلسا جنباً إلى جنب في العربة الضخمة المريحة وانطلقا نحو محطة القطار . استقبلهما فور وصولهما رئيس المحطة وقادهما إلى المقطورة المخصصة بهما . كانت هذه الأخيرة مجهزة بكل وسائل الراحة هذا بالإضافة إلى الكتب والمجلات والجرائد .

انغمس اللورد في القراءة فور صعوده إلى القطار تاركاً « ليتونيا » غارقة في أفكارها وهي تراقب المناظر الطبيعية من النافذة .

مع اقتراب وصولهما إلى تيلبوري حيث سيستقلان الباخرة كانت « ليتونيا » تشعر بالارتياح يسيطر عليها شيئاً فشيئاً ، فقد نجحت

www.elromancia.com

الخطة ولم يكتشف أمرها قبل مغادرتها إنكلترا ، وبذلك تكون « طوني » في أمان تام !

كانت تتحرّق شوقاً للكتابة إلى «طوني» لتقص عليها كل ما حدث بينها وبين اللورد وكل ما دار بينهما من حديث منذ اللقاء الأول لكنها رأت أن في ذلك كثيراً من المخاطرة . وقررت أن تكاتبها فور الاختلاء بنفسها في الباخرة خاصة أن الرسائل ستكون موجهة باسم الآنسة « ليتونيا هيث » .

كانت الباخرة ضخمة للغاية أكبر مما توقعت « ليتونيا » ؛ وعلمت أنها تابعة لشركة الخطوط البحرية الشرقية . كانت مقطورات الباخرة مجهزة بأرفع أثاث فخصصت لها وللورد أفضل الاماكن حيث فصل الصالون غرفتها عن غرفة اللورد .

ولاحظت « ليتونيا » أن طاقم الباخرة يعامل اللورد معاملة خاصة تتسم بالاحترام والتقدير .

ـ شكراً لك على تخصيص هذه المقطورات المريحة لي ولابنة أخي قال اللورد لكابتن الباخرة .

ـ هذا واجبي يا مايلورد ، أجاب الكابتن ، إنه لشرف عظيم لي أن تسافر على متن هذه الباخرة ، إنني في خدمتك وخدمة الآنسة « كومب » فأرجو ألا تترددا في طلب كل ما تحتاجان إليه .

وعرفت « ليتونيا » من حديث الخادمة التي حضرت لمساعدتها في توضيب حقائبها أن الباخرة مليئة بالركاب .

ـ ستمضين أوقاتاً جيدة يا سيدتي ، قالت لها ، فهناك عدد كبير من الضباط على متن الباخرة يمكنك أن تتبادلي معهم أطراف الحديث قتلاً للوقت ، كما سننظم الحفلات يومياً في المساء هذا بالاضافة إلى الالعاب والرياضة . . .

ـ لحسن الحظ ، أجابت « ليتونيا » ، إنها المرة الاولى التي أسافر بها في البحر وأود أن أستفيد من هذه الفرصة .

ـ ستكونين أميرة الحفلات ، إنك تملكين أثواباً رائعة . قالت الخادمة ضاحكة .

توجهت « ليتونيا » نحو الصالة تاركة الخادمة تكمل عملها فلاحظت فوق طاولة المكتب وجود عدد كبير من الكتب والملفات والأوراق . « إن لدى اللورد أعمالاً كثيرة » قالت الفتاة في سرها . وفي هذه الاثناء دخل اللورد الصالة . كان يلبس بدلة جديدة فبدا في غاية الأناقة .

وما إن وقعت عيناه عليها حتى بادرها قائلاً :

ـ إجلسي يا « ليتونيا » ، أود أن أتحدث إليك .

فجلست دون أن تنبس ببنت شفة وهي تتساءل في سرها عما سيقوله لها ، وجلس قبالتها ونظر إليها بإمعان قبل أن يقول :

ـ لقد قررت قبل القيام بهذه الرحلة اتخاذ بعض الاجراءات خوفاً أن تقومي ببعض التصرفات غير اللائقة رغم وجودي إلى جانبك . لقد رأيت الركاب وأخذت علماً ببرامج التسلية التي أعدت خلال الابحار لذا قررت ما يأتي :

ولزمت « ليتونيا » الصمت واكتفت بالنظر في عينيه .

ـ لقد أعطيت التعليمات اللازمة لكي نتناول وجباتنا هنا في الصالة فلا نختلط بالركاب . ولن تغادري المقصورة إلا برفقتي ومن الأفضل في الصباح الباكر قبل أن يكثر الركاب فوق ظهر الباخرة .

وتوقف عن الكلام وكأنه ينتظر ردة فعلها لكن « ليتونيا » لم تجب بل اكتفت بالاصغاء إليه دون أن تفارق عيناها عينيه .

إزاء هذا الصمت أضاف اللورد « برانسكوب » بلهجة صارمة :

ـ إن قراري هذا ناتج عما سمعته عنك في لندن .

ـ وما الذي سمعته ؟

ـ إن تصرفك مع « لودينغتون » يكفي لكنني سمعت أقاويل كثيرة جداً ولم أكن أتصور أن تصدر عنك ، لقد أثرت كثيراً من الفضائح في لندن ولحسن الحظ أن الصحافة لم تتحدث عنها . إنك حقاً فتاة حمقاء .

اتسعت حدقتا « ليتونيا » تعجباً وقررت الدفاع عن « طوني » فقد كانت متأكدة أن قريبتها لم تخفِ عنها شيئاً وبأن والدة « لودينغتون » قد استغلت الفرصة من أجل تشويه سمعة الفتاة .

ـ ما الذي سمعته ؟ إنني لا أفهم حقاً عمّ تتحدث ؟ سألت .

ـ إنني لا أصدقك . إنك تعرفين حق المعرفة أن ممازحة صبيانية كانت ستتحول إلى مأساة كبيرة ! (ولم تعترض « ليتونيا » فتابع اللورد :) إن كل الناس تعرف أن نهر التايمس نهر خطير للغاية كما أن دفع الشبان المتهورين على اجتياز النهر سباحة أمر لا يتقبله العقل .

وحبست « ليتونيا » أنفاسها ، فلم تحدثها « طوني » عن هذا الموضوع ولم تجد الكلمات المناسبة للإجابة .

ـ إنني لا أعرف أسماء شريكاتك في هذه اللعبة وهذه المغامرة السخيفة ، أضاف اللورد « برانسكوب » . إنني لا أستثني هؤلاء الشبان من الملامة ، إنه شباب مجنون حقاً (وتوقف قليلا ثم تابع :) يجدر بك أن تركعي أرضاً وأن تحمدي الله لأن هذه اللعبة قد انتهت بخير ولحسن الحظ أن الجرائد لم تتحدث عن هذه المغامرات ولم يمس شرف العائلة بسوء .

« لا أظن أنه يقول الحقيقة » قالت « ليتونيا » في نفسها ، إنني

أفهم الآن سر حقد اللورد على ابنة أخيه . هل قبلت « طوني » حقاً الاشتراك في هذا الرهان أو هذه اللعبة التافهة ؟

تساءلت . إنها لم تعِ خطورة اللعبة دون شك . لقد حدث ذلك بعد إحدى الحفلات الراقصة ، حاولت الفتيات التخلص من مراقبة مربياتهن فقمن بنزهة برفقة الشباب قرب نهر التايمس ولم تتأخر « طوني » عن مشاركة صديقاتها فقبلت اصطحابهن في النزهة . وقد اقترح أحد الشبان في هذه الأثناء الاستحمام في النهر وكاد يؤدي هذا الاقتراح إلى حادث ومأساة مؤلمة .

يبدو أن اللورد « برانسكوب » لن يسامح « طوني » أبداً على هذه التصرفات لكن « ليتونيا » كانت تتفهم موقف قريبتها تماماً إذ إن « طوني » ظنت أن السباحة في نهر التايمس لا تختلف عن السباحة في بحيرة « برانسكوب » حيث كانت الفتاتان تستحمان في طفولتهما . كانتا تسبحان كالسمك .

وترددت « ليتونيا » في شرح كل ذلك إلى اللورد فقد كانت « طوني » فتاة ساذجة وبسيطة ذات قلب طيب كالطفل الصغير . لكنها شعرت أن اللورد غير مستعد لسماع أية إيضاحات .

وإزاء الغضب الجامح الذي كان يسيطر عليه تمتمت « ليتونيا » بكل حياء :

ـ إنني . . . حقاً آسفة . لم أكن أتصور أن تنتهي الامور بهذا الشكل . كانت لعبة تافهة كما قلت تماماً وقد قمنا بها من أجل التسلية .

ـ التسلية ! صاح اللورد « برانسكوب » ، وقد كاد أحد الشبان أن يلاقي حتفه وعلمت أن أصدقاءه لاقوا صعوبة كبيرة في انتشاله من النهر وإنقاذ حياته .

ـ لقد صور لك الموضوع بطريقة مبالغ فيها للغاية . . . تمتمت « ليتونيا » .

ـ هذا كل ما أرجوه ، قال اللورد بلهجة جافة ، يا للفضيحة ! لقد أسأت التصرف مع اللورد « لودينغتون » ، إنني أعرفه جيداً ، إنه شاب لطيف للغاية لكنني ألومه في نفس الوقت على تصرفه الأحمق .

وبعد صمت ثقيل أجابت « ليتونيا » بلهجة متقطعة :

ـ ألم يخطر ببالك ولو مرة واحدة أنني بريئة من كل هذه التهم ؟

ـ وكيف ذلك ! وهل تعتقدين أن الناس ستلفق لك التهم وأنتِ بريئة منها .

ـ أود أن أقول لك أن الأحداث قد رويت لك بطريقة مبالغ فيها للغاية . ولم تكن الامور جدية إلى هذا الحد .

ـ لقد حاول الشاب أن ينتحر أليس ذلك بالأمر الجدي ؟

وترددت « ليتونيا » بعض الوقت ، فقد طلبت إليها « طوني » أن تلزم الصمت أمام اتهامات عمها لها ، لكنها لم تستطع سماع كل هذه التهم دون أن تحاول الدفاع عن « طوني » فأجابت :

ـ لقد حاولت إقناعه بكل الطرق الابتعاد عني ، يبدو أنه رجل مختل وقد تأكدت من ذلك بعد محاولة الانتحار التي قام بها .

تكلمت « ليتونيا » بلهجة هادئة وبكل ثقة لكن كلماتها أثارت غضب اللورد فصاح قائلاً :

ـ إنك تحاولين أن تتهربي من المسؤولية عن الحادث ! وأظن أن استهتارك هو الذي دعاه إلى القيام بهذا التصرف . وأظن أنك قمت بتشجيعه في الاقدام على الانتحار ، إنك تلعبين بعواطف الناس يا « ليتونيا » ولن أغفر لك أبداً هذه الغلطة .

وتوقف عن الكلام منتظراً ردها .

ـ إنك تبالغ يا عمي . لقد كان « أندرو » يضايقني ويلاحقني أينما ذهبت فحاولت إقناعه في النهاية أنني لا أنوي الزواج منه فحاول الانتحار انتقاماً مني .

كانت « ليتونيا » تلوم اللورد لأنه اكتفى بما جاء على لسان السيدة « لودينغتون » دون سماع رد أو حتى دفاع « طوني » عن نفسها .

أحسّ بالخجل ، أشعر بالخجل لأنني عمك .

وخرج من الصالة وضرب الباب وراءه .

مكثت «ليتونيا» جامدة في مكانها فقد صعقت بما جاء على لسان « كنريك » .

« كان يجدر بي أن ألزم الصمت . قالت في سرها . لقد أثرت غضبه وعملت بذلك على زيادة كرهه « لطوني » . لكنه غير عادل ، إنني أعرف أنه غير عادل في حكمه على « طوني » وقد كان والدي يكره الاجحاف بحق الناس . »

تمنت « ليتونيا » أن يكون والدها إلى جانبها في هذا الموقف : كان بإمكانها أن تصارحه في الموضوع فتحدثه عن شكوك اللورد « بطوني » فقد كان يحذرها باستمرار من الحكم على الناس وعلى تصرفاتهم بطريقة عشوائية دون سماع وجهة نظرهم ودفاعهم عن النفس .

ـ إن لكل شخص ظروفاً مخففة مهما كان نوع التصرفات التي قام بها .

لكن « ليتونيا » لاحظت أن اللورد « برانسكوب » لا يعير أية أهمية لهذا الاعتبار فرفض سماع وجهة نظر « طوني » . فأخذ كل ما سمعه حول تصرفات ابنة أخيه على محمل الجد وحرم عليها حتى فرصة الدفاع عن نفسها .

« إنه رجل قاس » قالت في سرها . وتمنت أن تترك كل شيء وأن

www.elromancia.com

توقف هذه المهزلة وتعود إلى منزلها في أسرع وقت ، لكن ذلك غير ممكن ، لقد أخذت على عاتقها مهمة مساعدة « طوني » إلى أن يتم زواجها من « إيفن » ولا مجال للتراجع . سأحاول تجاهل هذه الاتهامات واستفيد من هذه الرحلة فأتعرف على الهند وعجائبها .

سيصعب عليها تجاهل كلمات هذا الوصي المزيف الجارحة خاصة أنه فرض عليها السجن في الصالون برفقته .

« كيف له أن يكون بهذه الفظاظة مع « طوني » تساءلت» كيف كانت ستتحمل عزلها عن بقية الركاب بهذه الطريقة ؟ كانت ستصاب بالجنون لهذه الفكرة واكتشفت الطريقة المناسبة للهرب من رقابة عمها وهذا السجن الاجباري من أجل المحافظة على حريتها . كان بامكانها مثلاً أن تطلب معونة الخادمة وتدرس خطة متكاملة للهرب منه .

لكن « ليتونيا » لم تكن تملك الجرأة الكافية من أجل مقاومة اللورد « برانسكوب » والضرب بقراراته عرض الحائط . فقامت بمجهود كبير من أجل الرد على اتهاماته والدفاع عن « طوني » لكن ذلك لم يعمل إلا على زيادة غضبه .

« لا بد لي من المحافظة على برودة أعصابي ، قالت في سرها ، وسأقبل كل ما سيطلبه مني بكل طيبة خاطر » .

أبحرت الباخرة بكل هدوء فقد كان البحر هادئاً قبل الوصول إلى قناة السويس . جلست « ليتونيا » في الصالة وقررت إلقاء نظرة على الكتب الموجودة في المكتبة . كانت كل الكتب تتحدث عن تاريخ الهند ودوّن معظمها بلغة غريبة فهمت الفتاة أنها لغة « الاوردي » .

وفجأة مر في رأسها فكرة . . .

وفور عودة اللورد « برانسكوب » إلى الصالة بعد مرور ساعة من الوقت تقريباً . كان يبدو غاضباً ولم يوجه إليها كلمة واحدة .

فبادرته قائلة بصوت خافت :

ـ أود أن أطلب منك طلباً يا عمي «كنريك» .

ـ ماذا ؟ أجاب بحدة .

ـ بما أنني سأمكث مسجونة في هذه الصالة أود أن أتعلم لغة الاوردي .

وبدا عليه الاستغراب لاول مرة .

ـ الاوردي . . . ولكن لماذا ؟

ـ إنني أحب تعلم اللغات الاجنبية وأرغب في فهم ما يقوله الهنود عندما أصل إلى هناك .

ـ إن معظمهم يتكلم الانجليزية ، أجاب اللورد « برانسكوب » . كما أنني لا أجدضرورة في مخالطتك الهنود أو مع الانجليز .

حافظت « ليتونيا » على برودة أعصابها ، رغم جواب اللورد الجارح وأجابت بكل هدوء :

ـ ليس هذا ما قصدت ، بل إنني أحب تعلم اللغات ولم أجد أية صعوبة في تعلم اللغات الاجنبية الاوروبية ، أصرّت « ليتونيا » ، وإنني متأكدة من إمكانية وجود شخص أو أستاذ على متن هذه الباخرة لكي يعلمني هذه اللغة فهناك كتب عديدة مكتوبة بها ويمكنني الاستفادة منها .

لم يكن بامكانها إخباره ما دار بينها وبين والدها قبل سفره إلى الهند من حديث وتذكر أنه قال لها :

ـ لا بد لي من مراجعة اللغة المحلية ، لقد نسيت ما كنت قد تعلمته سابقاً .

ـ هل كنت تتحدث الاوردي ؟ ، سألته برمها .

ـ أجل لقد قمت بزيارة هذه البلاد عندما كنت شاباً وتعلمت

بعض الكلمات وكنت أفهم معظم الاحاديث التي تدور بين الهنود ، وكنت قد تعلمت بعض مبادىء هذه اللغة قبل سفري إلى الهند . لكنني في الحقيقة لم أستفد من ذلك كثيراً فقد كان معظم الهنود يتكلمون لغتنا .

ـ لم تستفد من تعلم اللغة إذاً ؟

ـ لقد ساعدني ذلك على فهم الطباع الهندية ، وكنت أجد سهولة في التعامل والتفاهم مع الهنود إن ذلك يخلق نوعاً من الثقة بيننا .

كما كانت والدتها تردد أمامها بأن والدها قد أحب الشعب الهندي كثيراً وتمنى أن يمكث هناك طوال حياته لكنه اضطر للعودة إلى إنكلترا مطيعاً بذلك أوامر رؤوسائه .

ـ لقد عشت سعيدة في منزلي الصغير في الريف ، قالت والدتها مرة ، وكنت مستعدة لمرافقة والدك إلى الهند في حالة تعيينه هناك ، إنها بلاد شديدة الحرارة وأكثر ما أثار انتباهي في تلك البلاد هو كثرة قبور الاطفال الصغار . إنهم لا يتحملون الحرارة الشديدة في صغرهم .

وأبعدت « ليتونيا » هذه الأفكار عن مخيلتها وصممت على إقناع اللورد في الاستجابة لطلبها فقالت بكل احترام :

ـ أرجوك يا عمي « كنريك » حاول أن تجد أي أستاذ على متن الباخرة من أجل تعليمي هذه اللغة أعدك بأن أكون تلميذة ممتازة .

ونظر إليها بنوع من الاستغراب وكأنه يشك في صدق نياتها . فلم يجد أي سبب للاعتراض على رغبتها هذه فأجاب أخيراً :

ـ سأحدث « الكوميسير » في الموضوع . وإلا سأقوم بهذا الدور بنفسي .

ـ لقد تعلمت هذه اللغة إذاً ؟ قالت « ليتونيا » .

لكنه لم يجب وفهمت « ليتونيا » أنه يفضل عدم متابعة الحديث في هذا الموضوع .

وتذكرت ما قاله لها من قبل . فهو مكلف بزيارة الدويلات أو الإمارات الصغيرة في الهند ، ومضطر لذلك إلى معرفة وإتقان اللغة المحلية من أجل التفاهم مع المسؤولين هناك .

ونظرت « ليتونيا » إلى الملفات الموضوعة فوق المكتب وفهمت أنها تحتوي على مفتاح هذا اللغز الذي يخفيه اللورد .

وبعد صمت طويل استجمعت كل شجاعتها وسألت :

ـ هل ستلتحق بمجموعتك العسكرية ؟ إنك الآن لورد « برانسكوب » الرابع أظن أنك ستترك الجيش ؟

عقد اللورد حاجبيه وفهمت الفتاة أنه يفضل عدم الإجابة على هذا السؤال . ورغم ذلك أجاب غصباً عنه :

ـ لا أريد أن آخذ مثل هذه القرارات الحاسمة بسرعة . ففي الوقت الحالي طلب مني نائب الملك أن أقوم بمهمة تحقيقية في المناطق الهندية النائية .

ـ إنها مهمة شيّقة للغاية ! صاحت « ليتونيا » . إنني أتوق إلى رؤية هذه المناطق .

ألقى عليها نظرة خاطفة مستغرباً أن تبدي اهتمامها بغير الرقص والحفلات . وبنوع من الارتباك أخذ يقلب أوراقه فوق المكتب وقال :

ـ إنني مكلف بالتحقيق حول التصرفات والآراء السياسية لبعض الدويلات الهندية غير الخاضعة للسلطة الإنجليزية . هل تفهمين ما معنى ذلك ؟

ـ أجل إن الحكام الإنجليز مكلفون أيضاً بتقديم النصائح

www.elromancia.com

والإرشادات للأفراد « والراجا » الذين يتمتعون بنوع من الحكم الذاتي في مناطقهم . كما يقوم الحكام الإنجليز بمنع أو تحريم بعض العادات .

وظهرت امارات التعجب على وجه اللورد فلم يكن يتوقع أن تكون « ليتونيا » على علم بكل هذه الأمور .

ـ إنه اختصار جيد للمهام المناطة بهم ، أجاب ، لكن الأمراء يفعلون كل ما في وسعهم من أجل إبعاد الحكام الإنجليز عن مناطقهم وهذا أمر طبيعي .

ـ لا أعتقد أنهم سيستقبلونك بكل رحابة صدر إذاً فمهمتك تعتبر تدخلاً في أمورهم الخاصة : مهمة تفتيشية إذا صح التعبير ، قالت ضاحكة .

ـ أجل إنها الحقيقة ، ولكن لا بد لي من القيام بهذه المهمة ولا يمكنني إلا الانصياع للأوامر .

ـ يمكنك أن تدلني على الطريق الذي سنسلكه والمنطقة التي سنقوم بزيارتها في إحدى الخرائط عندما يكون لديك متسع من الوقت من أجل القيام بذلك . وأود أن أبدأ بتعلم اللغة الهندية في أسرع وقت ممكن علّني أتعلم بعض الكلمات قبل الوصول إلى الهند ويمكنني بذلك مخاطبة الخدم دون أن أضطر لازعاجك .

ـ لن تضطري للتحدث إلى الخدم ! أجاب اللورد بحدة .

ـ عليك إذاً أن تدلني على الأشخاص الذين يمكنني أن أخاطبهم ، أجابت الفتاة غاضبة .

مرة أخرى بدت على وجهه أمارات الغضب . وتناول أحد الكتب فوق الطاولة . فهمت « ليتونيا » أنه قاموس اللغة الهندية . وقال لها بلهجة آمرة :

ـ اجلسي ، سوف أرى إن كنت حقاً مستعدة لتعلم هذه اللغة ، إن ذلك يستوجب حدّا أدنى من الذكاء . وإنني أشك في ذكائك .

وضبطت « ليتونيا » أعصابها وأجابت بنوع من التحدي :

ـ يمكنك امتحان قدرتي على تعلم هذه اللغة أرجو أن أكون عند حسن ظنك . وإنني شاكرة لك على كل حال . ولكن أخشى أن يشغلك ذلك عن عملك . لذا أقترح عليك أن تبحث لي عن أستاذ ولا بد من وجود أحد يتحدث اللغة الهندية فوق متن الباخرة .

ـ فيما بعد . . . وقبل كل شيء لا بد لي من امتحان قدرتك على استيعاب هذه اللغة .

ـ آه طبعاً . أرجو ألا أخيب ظنك .

واستجمعت « ليتونيا » كل شجاعتها وعرفت أنها الطريقة الوحيدة لاعادة قليل من الاعتبار « لطوني » في نظر عمها .

فقد كانت هي الشخص الوحيد القادر على فهم « طوني » وفهم كل تصرفاتها فرغم تصرفاتها الصبيانية كانت هذه الأخيرة شديدة الذكاء وذات ثقافة متوسطة . أما « ليتونيا » فقد كانت تعير اهتماماً كبيراً لدراستها فحصلت بذلك على ثقافة واسعة لا تتمتع بها الفتيات اللواتي في سنها .

كانت « ليتونيا » تطالع كثيراً : فالقراءة تمثل بالنسبة إليها الوسيلة الوحيدة المفيدة لقتل الوقت، لم تكن تملك الأحصنة والجياد الأصيلة من أجل المشاركة في المباريات ومواسم الصيد مثل « طوني » . ولم يكن المنزل الصغير على غرار القصر الفخم مليئاً بالتحف والأثاث الفخم . فكانت تطلق لخيالها العنان من أجل تصور وتخيل كل ما كانت تقرأه في الكتب .

كان والداها مثقفين أيضاً فعلماها أشياء كثيرة وربياها أحسن تربية .

كانت « طوني » تتضايق في معظم الأحيان عندما كانت « ليتونيا » تبدي اهتماماً بالغاً بالكتب والقراءة .

ـ هيا بنا تعالي يا « ليتونيا » ، كانت تقول لها دائماً ، أية متعة نجدينها في قراءة هذه الكتب التافهة ، إن الطقس رائع اليوم تعالي نقم برحلة فوق الحصان .

ـ أود أن أجد كتاباً يتحدث عن الفتح الروماني لقد حدثني والدي عن ذلك البارحة .

(أو بناء تاج محل ، أو جنائن بابل المعلقة أو حتى منارة الاسكندرية) .

كانت « ليتونيا » تجد دائماً في قراءتها نوعاً من الامتداد الطبيعي لتخيلاتها . ونتجت ثقافتها الواسعة عن حب وشغف حقيقي بالمعرفة ولم تكن لتحصل على هذا القدر الكبير من المعلومات على يد أي أستاذ أو معلم مهما كان بارعاً .

جلس اللورد « برانسكوب » قبالتها وانكبا معاً على تعلم اللغة . كان يخاطبها في بادىء الأمر بنوع من الاستهزاء وكأنه لا يصدق رغبتها في تعلم اللغة .

وبعد مرور وقت ليس بالقصير أغلق اللورد الكتاب وقال :

ـ كفى بالنسبة لهذا اليوم . وأعترف أنك تملكين مؤهلات كبيرة لتعلم الاوردي أكبر بكثير مما كنت أعتقد .

ـ إنه أمر مشوق حقاً ! صاحت « ليتونيا » فرحة . لاحظت وجود كلمات كثيرة مقتبسة من اللغات الأوروبية .

ولم تلاحظ اندهاش اللورد بهذه الملاحظة فأجابت قائلة :

ـ لقد كنت أعتقد دائماً أن لغة الغجر مقتبسة من اللغة الهندية . ولقد تأكدت من ذلك الآن .

ـ هل تريدين القول انك تتقنين لغة الغجر ؟

ـ إنني لا أتقنها ، لأن الغجر لا يحبون أن يفهم لغتهم أحد وخاصة الغرباء . لكنهم كانوا يخيمون في حديقة قرب القصر إنني أعرفهم منذ مدة طويلة ، وأستطيع أن أتبادل بعض الجمل والكلمات معهم .

ـ إنك تفاجئينني حقاً ، أجاب اللورد « برانسكوب » . ولا أفهم حقاً كيف سمح لك شقيقي بالتحدث إلى هؤلاء الناس .

وبطريقة لا شعورية أجابت الفتاة :

ـ لم يكن على علم بالموضوع .

وفهمت على الفور أنها ارتكبت غلطة في حديثها عن الغجر وعقد اللورد حاجبيه إثر ذلك وأجاب بكل حدة :

ـ يبدو أن حياتك كانت مؤلفة حتى الآن من سلسلة من الأكاذيب ، ولو كنت مكان والدك لربيتك بطريقة صارمة .

وهمت « ليتونيا » بالاحتجاج والدفاع عن « طوني » فقد رباها والداها أفضل تربية فكانا يراقبانها باستمرار ، لكن الآنسة « وادسون » كانت تتغاضى عن هفواتها في معظم الأحيان وتفضل عدم نقل ما تقوم به « طوني » وهي طفلة إلى والديها .

وهنا بادرها اللورد قائلاً كمن قرأ أفكارها :

ـ يبدو أنك لا تشاركيني الرأي . إنني لا أنتظر منك ذلك على كل حال .

ـ إن الأطفال ، أجابت « ليتونيا » بهدوء ، كالأشخاص الكبار تماماً يروق لهم القيام بكل ما هو محرم وممنوع .

ـ وما الذي تقترحينه كحل إذاً ؟

ـ ليس ذلك بالأمر الصعب . إن الطفل قادر على تقبل توجيهات والديه بشرط أن يحسنا إعطاء هذه التوجيهات . يمكنك أن تشرح للطفل مثلاً السبب الذي يدعوك لمنعه من القيام بهذا أو بذاك العمل وأعتقد أنه بذلك سيستقبل الموضوع بطريقة أفضل مما لو حاولت منعه بطريقة صارمة .

ـ وهذا ما حدث لك بالضبط . أجاب اللورد ضاحكاً .

أوشكت « ليتونيا » أن تجيبه بأن والديها كانا يعيا هذه الحقيقة فعاملاها أفضل معاملة ورباها معتمدين طريقة الإقناع لكنها تذكرت فجأة أنها تلعب دور « طوني برنسكوب » وليس « ليتونيا هيث » .

ـ أجل هذا ما حصل لي بالضبط . فمنذ وجودي في هذا العالم لا أذكر أنني سمعت سوى كلمات « لا » ، أو « أجل ، أجل » دون إعطاء أي تفسير لذلك .

ـ وقررت بذلك منذ بلوغك أن تتصرف بطريقة مناقضة تماماً للسلوك الذي يفرضه العقل !

ـ لم أفعل ذلك قصداً ، أجابت « ليتونيا » ، ولكنني كنت أتوق للشعور بأنني حرّة دون أية قيود فأتصرف كما يحلو لي وليس كما خطط لي أن أتصرف .

ـ إنك تحاولين اختلاق الأعذار من أجل تبرير تصرفاتك السيئة فلا داعي لتحميل مسؤولية تهورك لوالديك الآن ، إنني مسؤول عنك وعن تربيتك من الآن وصاعداً .

ـ أردت أن أشرح لك الحقيقة هذا كل ما في الأمر .

ـ لا يهمني سماع مثل هذه الحقيقة الزائفة ، أجاب اللورد بحدة ، وسأعمل على تغيير حتى هذه الأفكار التافهة ، وأردك إلى طريق الصواب !

ابتسمت « ليتونيا » لهذه الفكرة وأجابت :

ـ إن كان هذا الطريق يؤدي إلى الهند وإلى تعلم اللغة المحلية فأنا مستعدة لاتباعه .

ونهض اللورد من مكانه وشعرت « ليتونيا » أنه يفضل عدم الإجابة على مداعبتها .

ـ حسناً ! لدي بعض الأعمال الآن لا بد لي من القيام بها .

ـ شكراً لك يا عمي « كنريك » لقد كان درساً شيقاً للغاية . سأحاول حفظ كل الكلمات التي تعلمتها اليوم .

وتوجهت « ليتونيا » نحو غرفتها وهي تشعر بالارتياح يغمر قلبها فقد استطاعت كسر طوق الجليد الذي يبعدها عن اللورد .

« لكنني لا أطيق هذا الكره الذي يكنه « لطوني » قالت في نفسها » فهو رجل ذكي للغاية ولكن لا بد من اكتشاف نقطة ضعفه .

تخيلت « ليتونيا » فرح « طوني » لو علمت بكل هذه الأحداث . وقررت أن تكتب لها رسالة مطولة في المساء .

استلقت الفتاة فوق فراشها وأخذت تفكر باللورد « برانسكوب » : ما سر حقده المتناهي « لطوني » ؟ لقد عرف تجربة عاطفية مأسوية في حياته دون شك قالت « ليتونيا » في سرها لا بد لي من معرفة هذا السر . فقد كان يتحدث في غالب الأحيان عن المهمات التي كلف بها حتى الآن ولم يذكر ولو مرة واحدة اسم امرأة على لسانه . « إنه لم يعرف الحب في حياته » .

كانت حياة اللورد تبدو لها كاللغز الغريب وقررت معرفة المزيد من التفاصيل حول مهامه وعلاقاته في الهند .

لاقت « ليتونيا » صعوبة كبيرة في الاسترسال في النوم داخل حجرتها . فبعد أن اجتازت الباخرة قناة السويس لتدخل في البحر الأحمر أصبحت الحرارة لا تطاق وكانت الفتاة تصعد على ظهر الباخرة لاستنشاق بعض الهواء المنعش من وقت إلى آخر .

كان اللورد « برانسكوب » قد أعد برنامجاً خاصاً لحياة « ليتونيا » فوق ظهر الباخرة فانصاعت له دون أي اعتراض .

ففي الساعة السابعة صباحاً وقبل تناول طعام الفطور كانا يصعدان إلى الباخرة للتنزه وفي مثل هذه الساعة من الصباح كان معظم الركاب يغطون في سبات عميق . وبهذا لا يمكن لـ « ليتونيا » أن تثير إعجاب أحد . كان اللورد « برانسكوب » يقوم بدور المرافق والمراقب على أحسن ما يرام فلا تفارق عيناه الفتاة لحظة واحدة وكأنه ينتظر أول فرصة لتتصرف بطريقة لا تحلو له لكي يوجه لها الملاحظة . لكن « ليتونيا » فهمت كل ذلك وعمدت إلى تخييب ظنه في الموضوع فكانت تتأمل البحر غير آبهة بكل ما يدور فوق ظهر الباخرة .

بعد تناول طعام الفطور ، كان اللورد يعطيها دروساً في اللغة الهندية لمدة ساعتين على الأقل ، فيشدد على أقل التفاصيل دون أن

ينزل عن تعاليه وكبريائه في تعامله معها . كانت « ليتونيا » متأكدة من وجود أستاذ على الباخرة قادر على تلقينها هذه الدروس لكن اللورد « برانسكوب » أصرّ على القيام بذلك بنفسه لكي لا يشاركه أي كان في السيطرة على أمور « ابنة أخيه » . كان يلقنها هذه الدروس وكأنه يقوم بأحد واجباته العسكرية فحافظ باستمرار على جديته وحزمه .

لم تكن « ليتونيا » معتادة على هذا النوع من المعاملة من قبل ، فهي محبوبة بشكل عام من كل أهالي القرية ، يعاملها هؤلاء بكل تهذيب ولطف . وكادت تثور عدة مرات لتصرفات اللورد معها الخالية من أية لطافة أو حتى إنسانية ، لكنها كانت متيقنة أن ذلك لن يغير شيئاً من موقفه منها فخطة اللورد واضحة ومفهومة ، فهو يحاول بكل الطرق معاقبة « ليتونيا » على تصرفاتها في لندن . وقررت هذه الأخيرة أن تطيع أوامره بحذافيرها فلا تحاول إثارة غضبه مهما كلف ذلك شرط ألا يطال كرامتها .

فاجأت « ليتونيا » عدة مرات بعض نظرات الاستغراب في عينيّ اللورد ولكنها لم تتمكن من فهم معنى هذه النظرات . ولم تتمكن من معرفة ما يجول في خاطره حولها فقد كان شديد التكتم لا يوجه إليها الحديث إلا بما هو ضروري .

كان يجلس بعد انتهائه من الدرس وراء مكتبه يقلب ملفاته ويكتب بعض الرسائل . وكان عمل اللورد يشغل بال « ليتونيا » واجتاحتها رغبة كبيرة في قراءة هذه الملفات والأوراق الموضوعة فوق طاولة المكتب لكنها لم تكن معتادة على القيام بدور الجاسوسة ولم تجرؤ على القيام بذلك خوفاً أن يفاجأها اللورد . فهو يراقبها وكأنه يراقب حيواناً صغيراً مفترساً ينتظر اللحظة المناسبة للفرار .

وكانت « ليتونيا » تمضي معظم أوقاتها منغمسة في قراءة الكتب في مكتبة الباخرة ولم تشعر للحظة أنها محجوزة الحرية .

وطلبت مرة من أحد البحارة أن يحضر لها بعض الكتب من مكتبة الباخرة وذلك دون استشارة اللورد في الموضوع وجلب لها البحار كل ما طلبت بكل طيبة خاطر .

ولما لاحظ اللورد وجود هذه الكتب في حوزة « ليتونيا » صاح بها قائلاً :

ـ من أين جاءت هذه الكتب ؟

ـ من المكتبة . لقد طلبت من أحد البحارة أن يحضرها لي .

ـ كان يجدر بك استشارتي في هذا الموضوع . وألقى نظرة إلى الكتب واضاف . كان بإمكاني أن أختار الكتب التي يجدر بك قراءتها .

ـ لا أظن أننا نفضل نفس نوعية الكتب ، أجابت « ليتونيا » مبتسمة .

ونظر إليها بغضب وتفحص الكتب مرة ثانية ولاحظ أنها في معظمها كتب قيمة .

ـ يلزمك وقت طويل جداً لقراءة كل هذه المجموعة .

ـ إنني أقرأ بسرعة هائلة .

ـ هل يهمك تاريخ الهند لهذه الدرجة ؟

ـ أجل ولهذا السبب قررت أن أتعلم اللغة المحلية . ولم يجد اللورد أي تعليق يضيفه على كلام « ليتونيا » فقد أظهرت هذه الأخيرة قدرة كبيرة في تعلم اللغة وأتقنت اللهجة بطريقة عجيبة . وعملت الفتاة على تقوية معلوماتها في قراءة الكتب معتمدة بذلك على القاموس

فحفظت عدداً كبيراً من الكلمات الجديدة بمفردها دون مساعدة اللورد .

كانت الحرارة في منطقة البحر الأحمر قاتلة ، ولم تستطع « ليتونيا » حجز نفسها في الصالون أو حتى التركيز على القراءة فغادرت حجرتها في الصباح الباكر واتجهت إلى سطح الباخرة .

كانت النجوم لا زالت تلمع في السماء وبدأت أولى خيوط أشعة الشمس تظهر شيئاً فشيئاً في الأفق .

ـ إنه منظر رائع ! صاحت بصوت عال . وبكل خفة صعدت سلم الباخرة المؤدي إلى السطح واجتازت الممر الطويل ووقفت تتأمل منظر البحر الرائع وأولى خيوط الشمس الظاهرة في الأفق .

ومرت عدة دقائق وهي على هذه الحال ، كان الهواء عليلاً فشعرت بالانتعاش .

وفجأة ظهر قرص الشمس كاملاً أمامها فتمتمت قائلة محدثة نفسها :

« بأية كلمات يمكنني أن أصف هذا المنظر الرائع » وخشيت أن يتوافد في هذه الأثناء الركاب إلى السطح هرباً من ضغط الحرارة داخل الباخرة فاختارت لنفسها مكاناً جانبياً بعيداً عن الأنظار ومكثت تتأمل البحر .

وفي هذه الأثناء صعد بعض ركاب الدرجة الثالثة إلى السطح ولاحظت اقتراب شخصين منها . كان الرجل مسناً أما المرأة فقد كانت تلبس قميص ممرضة وبدت في مقتبل العمر ووقفا بالقرب من « ليتونيا » يتأملان البحر وفجأة اقتربت منها الممرضة وقالت لها :

ـ هل لي يا آنستي أن أطلب منك رعاية هذا الرجل لبضع دقائق ؟ إنني أشعر بدوار البحر ، يبدو أنني تناولت طعاماً لم يناسبني البارحة .

www.elromancia.com

ـ بالطبع أجابت « ليتونيا » بكل لطف . وابتعدت الممرضة بسرعة فاقتربت « ليتونيا » من الرجل ولاحظت عروق الدم الزرقاء مرسومة بدقة فوق يده .

ـ رائع ، رائع جداً قال وكأنه يخاطب نفسه .

ـ أجل إنه منظر رائع أجابت « ليتونيا » إن الشمس هي مصدر الحياة في البحر .

لكن الرجل أدار وجهه نحوها وقال بلهجة خائفة :

ـ أين ممرضتي ؟ أين ذهبت ؟

ـ ستعود فوراً ، أجابت الفتاة محاولة تهدئة روعه .

ـ إنني أريدها حالاً ، لقد تركتني ، لقد تخلت عني !

ـ لقد اضطرت للذهاب إلى حجرتها وستعود بعض لحظات .

وتحول الرجل المسن إلى طفل صغير يتصرف كمن فقد لعبته الصغيرة . وترك درابزين الباخرة ففقد توازنه وكاد يقع أرضاً فسارعت «ليتونيا» وأمسكت بيده محاولة مساعدته .

ـ ستعود ممرضتك بعد بضع دقائق . حاول ان تتأمل البحر في هذه الأثناء .

وخففت لهجة « ليتونيا » الهادئة من اضطراب الرجل المسن فمكث يتأمل البحر . ووقفت إلى جانبه ووضعت يدها فوق يده وقالت له :

ـ انظر إلى منظر الشمس فوق الأمواج !

وفي هذه الأثناء سمعت صراخاً :

ـ ما الذي تفعلينه هنا ؟

وبحركة لا شعورية التفتت « ليتونيا » إلى الوراء دون أن تترك يدها

يد الرجل المسن وإذا هي تجد اللورد «برانسكوب» وراءها وقد بدت عليه أمارات الغضب الشديد .

ـ لا يمكنني حتى أن أنام مطمئناً ، أردف قائلاً ، إنك تستفيدين من ذلك ، إنك غير جديرة بالثقة أبداً . من هو هذا الرجل .

لم يكن باستطاعة اللورد رؤية وجه الرجل المسن لقد بقي هذا الأخير يتأمل منظر البحر والشمس المشعة ، ولاحظ اللورد دون شك أنها تمسك بيده .

« يا للفضيحة ! » قالت « ليتونيا » في نفسها واكتفت بالنظر إلى اللورد وقد اتسعت عيناها تعجباً فلم تجد الكلمات المناسبة للدفاع عن نفسها أو بالأحرى شرح الموقف للورد ففضلت لزوم الصمت . وشعرت بالغضب يسيطر عليها شيئاً فشيئاً أمام نظرات اللورد التي كانت تنم عن حقد واحتقار كبيرين . وفي هذه الأثناء عادت الممرضة واقتربت من « ليتونيا » قائلة :

ـ ألف شكرٍ يا آنستي ، أرجو ألا يكون قد سبب لك أي مشكل .

ـ لقد ظننت أنك لن تعودي أبداً ، أجاب الرجل المسن ، ما الذي دعاك إلى تركي بهذه الطريقة المفاجئة .

ـ لقد شعرت بالدوار ، أجابت الممرضة وهي تمسك بيده بكل حنان ، هيا بنا نقوم بنزهة من وقت إلى آخر .

وابتعد الرجل والممرضة . ونظر اللورد « برانسكوب » إلى « ليتونيا » التي لم تفارق عيناها عينيه وقال :

ـ لا بد لي من الاعتذار في هذه الحالة .

ـ هذا ما كنت انتظره منك أجابت الفتاة بحدة ، واتكأ اللورد فوق الدرابزين وقال :

ـ يجدر بك أن تتفهمي تصرفاتي وشكوكي هذه فقد سمعت الكثير الكثير عن حياتك في لندن !

وشعرت « ليتونيا » بأنه يحاول أن يبرر موقفه منها فأجابت :

ـ إن كل ما سمعته لا يمثل حجة كافية من أجل الحكم علي بهذه الطريقة المهينة .

ـ لكنها وقائع !

ـ بحاجة إلى الإثبات انها اتهامات عارية من أية صحة . أجابت « ليتونيا » بحدة .

ولاحظت الفتاة في هذه الأثناء الابتسامة التي ارتسمت فوق شفتي اللورد .

ـ إنني لا أصدق فكرة تصاعد الدخان دون نار . وحاولت الفتاة تغيير موضوع الحديث فقد كان من المستحسن تغيير رأي اللورد فقالت :

ـ إننا ذاهبان الآن إلى بلاد بعيدة وسنترك إنكلترا وراءنا لم لا نفعل نفس الشيء بالنسبة إلى الماضي الذي عشته في لندن .

ـ هل هذه هي رغبتك حقاً ، أم إنك تحاولين التأثير فيّ ؟

وفهمت « ليتونيا » أنه يحاول بمختلف الطرق إثارة غضبها .

ـ لقد شاهدت قبل دقائق ولادة نهار جديد . واعتقد أن باستطاعة الإنسان أن يولد مرة ثانية إذا حاول فتح صفحة جديدة في حياته متناسياً كل الأحداث الماضية .

ـ إنها فكرة جديدة لم تخطر ببالي أبداً لكنني لا أظن أنها ممكنة .

ـ إنها ممكنة بالنسبة إلي ، فالماضي لم يعد موجوداً إنني أنظر إلى المستقبل .

التفت إليها اللورد وشعرت « ليتونيا » فجأة بالخجل واحمرت وجنتاها فبادرها قائلاً :

ـ إنني أستغرب كل ما تقولين يا « ليتونيا » لم أكن أتصور أنك تفكرين بهذه الطريقة .

ـ لماذا ؟

ـ لأنك لا تشبهين الصورة التي كونتها عنك . وفضلت « ليتونيا » عدم الإجابة . وسرت قشعريرة في جسدها وتساءلت في سرها « هل كشف سري ؟ هل عرف أنني لست ابنة أخيه » وقطع اللورد تساؤلاتها قائلاً :

ـ لم لم تطيعي أوامري ؟ وما الذي جاء بك إلى سطح الباخرة في هذه الساعة الباكرة ؟

ـ لم أستطع النوم من شدة الحرارة . وأردت أن أشاهد شروق الشمس . لقد كان منظراً رائعاً حقاً .

ـ ستعجبك مناظر الهند أيضاً ، أجاب اللورد « برانسكوب » ، خاصة بالقرب من الهيمالايا .

وصفقت « ليتونيا » فرحاً وسألت :

ـ وهل سنزور تلك المنطقة ؟

ـ ربما . . .

ـ لقد كنت أحلم دائماً بزيارة الهيمالايا .

ـ لماذا ؟

وتعمدت الفتاة اختيار كلماتها فأجابت :

ـ إنها بالنسبة إلي أجمل جبال في العالم وتمثل نوعاً من الرمز لجهود الإنسان في الحياة ومحاولاته إلى الارتقاء والتقدم .

وتعجب اللورد لكلمات « ليتونيا » هذه لكنه فضل عدم الإجابة ومكثا يتأملان أمواج البحر عدة دقائق بصمت .

ـ هيا بنا نتناول طعام الفطور ونبدأ الدروس الهندية فوراً لقد كانت نزهتنا مبكرة جداً هذا الصباح .

دخلت « الأوديسا » إلى مرفأ بومباي بعد سبعة عشر يوماً من الانطلاق من انجلترا . لم يسبق لـ « ليتونيا » أن شاهدت مشهداً بمثل هذا السحر والجمال .

لقد أجبرت فرحتها ورغبتها في رؤية المدينة اللورد على القيام بنزهة الصباح باكراً قبل الساعة المحددة لذلك . ورغم محافظة اللورد على موقفه الجاف منها فقد كانت « ليتونيا » تقرأ في نظراته كثيراً من الحنان والإنسانية .

وتمنت الفتاة أن يعرض عليها أهم معالم المدينة قبل انتقالها إلى مقر إقامتها لكن اللورد كان على موعد مع أحد الأشخاص . وبعد وصولها بالحقائب استقلا عربة وتوجها نحو محطة القطار .

ولم تستطع « ليتونيا » بذلك إلا مشاهدة البنايات الشاهقة التي اصطفت حول الشاطىء . واستغربت الفتاة كل ما وقعت عليه عيناها . وفي العربة دلّها اللورد على الجامعة والمكتبة والمحكمة وبناية البريد فوجدتها جميعها مختلفة تماماً عما هي عليه الدوائر الرسمية في إنجلترا .

وفي أثناء الانتظار في محطة القطار تمتعت « ليتونيا » برؤية الفتيات الهنديات اللواتي وضعن خواتم في أنوفهن وتعجبت لهذه العادة الغريبة .

وفي القطار حيث حجزت مقطورة خاصة باللورد وليتونيا جلست هذه الأخيرة بمفردها ، بعد أن قدمها اللورد إلى عدد من الضباط

الذين كانوا يرافقونه وانسحب معهم إلى مكان آخر من أجل التباحث في العمل .

ولاحظت الفتاة في هذه الأثناء نظرات الإعجاب التي كان أحد الضباط يرمقها بها .

ـ أرجو أن تكون إقامتك سعيدة في الهند يا آنسة « كومب » ، قال لها ، واطلبي من عمك أن يأخذك إلى « سيملا » فستعجبك المنطقة كثيراً .

ـ لست أدري إن كنا سنذهب إلى هناك أجابت « ليتونيا » بتهذيب .

ـ أرجو أن تكون زيارة تلك المنطقة مقررة من قبل عمك ، كما أنصحك بزيارة « دلهي » .

وتعجبت « ليتونيا » لأن اللورد لم يحدثها عن هذه المناطق من قبل .

وقبل انطلاق القطار طلب إليها اللورد التحقق من الحقائب ، ففعلت دون أي اعتراض . وجلست في القطار تراقب جموع المسافرين بثيابهم ذات الألوان الزاهية والغريبة . وانطلق القطار رويداً رويداً فيما صعد الضباط الذين يرافقون اللورد في عربة مجاورة .

ولاحظت أن المقطورة التي حجزت للورد كانت من أفضل المقطورات تحتوي على غرفتين للنوم وصالة كبيرة فيها حجزت عربة ثانية وخصصت للامتعة والخدم .

جلست « ليتونيا » في القطار وأخذت تفكر في هذه المغامرة الغريبة التي أقدمت عليها . ومرة ثانية قادتها أفكارها نحو « طوني » .

إن محاولة انتحار « أندرو لودينغتون » عمل خطير فعلاً ، لكن

ذلك ناتج عن ضعف شخصيته دون شك . كما أن حكم اللورد على « طوني » بهذه الطريقة عائد إلى أن « أندرو لودينغتون » هو عضو في فصيلة الضباط التابعة للورد .

وقطع القطار مسافة كبيرة ، توقف بعدها في إحدى المدن وفتحت « ليتونيا » النافذة وأخذت تتأمل النساء اللواتي لبسن الساري والأطفال السمر ذوي العيون السوداء الكبيرة . ولما لم يظهر اللورد أمامها قررت « ليتونيا » الذهاب إلى الغرفة المجاورة حيث كان مجتمعاً مع بعض الضباط . وشعرت الفتاة بالغضب يستولي عليها بسبب هذا الإهمال الذي يظهره نحوها لورد « برانسكوب » .

وما إن اقتربت نحو الباب حتى سمعت صوت رجل مسنّ يقول بصوت عالٍ :

ـ إنني أستحلفك بالله يا لورد « برانسكوب » أن تكون حذراً ! إنك لا تجهل دون شك الخطر الذي تشكله هذه الدويلات الصغيرة إنها تحاول بمختلف الطرق الاحتفاظ بالحكم الذاتي الذي تتمتع به لذا فإنها تظهر حذراً كبيراً تجاه المسؤولين الإنجليز الذين يقومون بزيارة هذه المناطق . ولن يتوانى الحكام عن محاولة التخلص منك لو شعروا لحظة واحدة أنك تشكل خطراً على استقلالهم .

واستولى الخوف فجأة على « ليتونيا » فلم تصدق ما سمعته أذناها وظنت للحظة بأنها تتخيل فإن مثل هذه الأحداث لا تحدث عادة إلا في القصص والروايات . لكنها كانت متيقنة مما سمعت وشعرت بصدق كبير في لهجة المتحدث .

وهنا سمعت اللورد « برانسكوب » يقهقه .

ـ إنني لست طفلاً صغيراً يا «ستيفنسن» ، أجاب ضاحكاً ، إنك تعرف جيداً كم من مرة قمت بمثل هذه المهمة . إنني أقوم بهذه الرحلة

بمهمة رسمية وليس كمفتش .

ـ إنني أعرف ذلك ، وكل ما أطلبه إليك هو أن تكون حذراً ففي التقرير الأخير الذي تلقيناه من . . .

ولم تستطع « ليتونيا » سماع بقية الحديث فقد خفض الرجل صوته بصورة مفاجئة .

وخشيت « ليتونيا » أن يفاجئها أحد أمام الباب فعادت أدراجها إلى الحجرة الأخرى .

إن اللورد « برانسكوب » ، لا يمكنه أن يعرض ابنة أخيه لمثل هذه المخاطر قالت في سرها .

لكن لهجة هذا الذي يسمى «ستيفنسن» كانت قاطعة وجدية فقد كان يقصد كل ما يقول ! هل سيأخذ بنصيحته ؟ تساءلت « ليتونيا » في سرها .

وتحرك القطار ثانية وتأكدت « ليتونيا » أن اللورد بمفرده في المقطورة فالتحقت به بسرعة . فاقتربت منه وقالت له فيما كان يتأمل جموع الناس من النافذة :

ـ إنها مدينة كبيرة ، هناك عدد كبير من الناس في المحطة .

وابتسم اللورد وأجاب :

ـ لقد جاء معظمهم إلى المحطة من أجل رؤية القطار ، فقد دخل هذا الاكتشاف الحديث منذ مدة قليلة إلى البلاد .

ـ آه إنني أفهم ذلك ، أجابت ، وبما أننا نتحدث عن العالم الجديد هل لك أن تقول لي إلى أين نحن ذاهبان ؟

ونظر إليها اللورد « برانسكوب » باستغراب وكأنه لم يكن ينتظر منها مثل هذا السؤال .

ـ وهل يهمك هذا الأمر لهذه الدرجة ؟

ـ أجل ! لقد قلت لك سابقاً : إنني آمل أن أحصل على خريطة لعلّني أعرف الطريق الذي سنسلكه في هذه الرحلة !

ـ ليس لدي خريطة في الوقت الحاضر وسأحاول الحصول عليها في أقرب وقت ممكن .

وشعرت « ليتونيا » بأنه يكذب عليها بمحض إرادته ، أو أنه يحاول تلافي اجابتها على هذا السؤال . وجلست فوق المقعد وقالت له :

ـ ما هو نوع عملك ؟ هل تعمل في المكتب السري ؟

ـ وما سبب هذا السؤال ؟ أجابها بحدة .

ـ كان بإمكاني أن أقول لك إني أحسست ذلك ولكن أفضل أن أكون أكثر صراحة : لقد سمعت ما دار بينك وبين «ستيفنسن» منذ لحظات .

واستولى الغضب على اللورد فجأة فأضافت الفتاة دون أن تدع له مجال الإجابة :

ـ لم أكن أقصد استراق السمع ، جئت لملاقاتك وسمعت ما قاله لك الضابط حول ضرورة الحذر واتخاذ الحيطة خلال هذه المهمة .

ـ إن « ستيفنسن » ضخم الأمور بطريقة كبيرة .

ـ أريد أن أعرف الحقيقة ، أصرّت « ليتونيا » ، فإن كنا سنتعرض لأي خطر فلا بد لك من اخباري لكي أتخذ الاحتياطات اللازمة .

عقد اللورد « برانسكوب » حاجبيه وأجاب :

ـ لو كان هناك أي خطر لما كنت معي الآن في هذا القطار ، كان بإمكاني أن أعهد بك إلى إحدى العائلات الإنجليزيات ريثما أتم مهمتي ، لكنني خشيت في الحقيقة من تصرفاتك .

ـ إنك تحكم علي بطريقة عشوائية غريبة ، وكنت أظن أن المتهم يبقى متهماً إلى أن يتم إثبات جريمته .

ـ لقد اتفقنا على ألا نتحدث عن الماضي ، أليس كذلك ؟

ـ وليس لدي أي استعداد لكي أسكن عند أية عائلة إنجليزية وأفضل البقاء معك ، فأتمتع برؤية مناطق نائية تختلف تماماً عن المناطق التي يشاهدها معظم السواح الذين يزورون الهند . وكل ما أود معرفته هو المكان الذي سنذهب إليه وإن كانت حياتك معرضة للخطر هناك ؟

ـ إن ذلك لا يعنيك ، أجاب اللورد بحدة ، ولا داعي للخوف من أجلي . وأؤكد لك أنني لن أتعرض لأي مكروه ، كما أنك في مأمن برفقتي . ويمكننا اللجوء للاختباء عند أول قائد عسكري إنجليزي في حالة تعرضنا لأي تهديد .

ـ إنك لا تريد أن تضعني في أجواء الرحلة ، أجابت « ليتونيا » ، أؤكد لك أنني أتوقع التعرض لمختلف المخاطر في هذه البلاد النائية ، وإنني مستعدة للقيام بالمستحيل من أجل مساعدتك .

نمت لهجة « ليتونيا » عن صدق كبير ، وتأثر اللورد « برانسكوب » بذلك .

وشعرت الفتاة للحظة بأنه سيخبرها كل شيء ، وكان على وشك اجابتها عندما دخل عليهما خادمان لاعلامهما أن طعام الغداء سيقدم لهما في المحطة القادمة .

وتتالى توقف القطار في كل مدينة وقرية ، وانشغل اللورد « برانسكوب » بإعطاء التعليمات للضباط الذين كانوا يرافقونه ، واسترسلت « ليتونيا » في تأمل مناظر الطبيعة إلى أن حلّ المساء .

وما إن اختلت الفتاة بنفسها في حجرة النوم حتى بدأت تفكر في هذه المغامرة المثيرة التي تقوم بها . لكن مهمة اللورد كانت تشغل بالها بشكل غريب فقد كانت تعرف أن الهند تابعة للاستعمار الإنجليزي ،

www.elromancia.com

ولكنها لم تفهم سرّ شعورها بهذا القلق تجاه الخطر الذي يتهدد عم « طوني » .

ولم تستطع « ليتونيا » الاسترسال في النوم بسرعة بسبب الضجة التي يخلفها القطار في اثناء سيره ، فأخذت تسترجع في مخيلتها كل ما قرأته حول تاريخ الهند ، وكل ما سمعت به في انجلترا حول الصعوبات التي تلاقيها البعثات الملكية الإنجليزية في تلك البلاد . فقد حدثها والدها مراراً عن تجربة حياته في الهند ، عندما كان ضابطاً في العسكرية كما أنها حصلت على بعض المعلومات في الكتب التي قرأتها في المكتبة .

وفهمت أن مهمة اللورد « برانسكوب » في المناطق الهندية النائية ستكون صعبة وخطرة نوعاً ما، لكنها لم تكن تملك أية إثباتات حول هذا الموضوع .

« أريد أن أستفسر منه حول أمور عديدة » قالت « ليتونيا » في سرها . لكن هذا الحقد الذي كان يكنه لها ، كان يمنعه من الافصاح أمامها بأي شيء . وكانت « ليتونيا » تتمتع بذاكرة مذهلة ، فهي تذكر أنها قرأت في إحدى الصحف عن بعض المشاكل في شمالي الهند، وعن بعض تصرّفات حكام تلك المناطق النائية ، وتذكر أنها قرأت ذات مرة أيضا عن بدء انشاء طريق للسكك الحديدية يصل بين سيبيريا والهند وقسم من تركيا .

« آه كم أتمنى أن يحدثني اللورد عن مهمته » قالت في سرها . فبإمكاني مساعدته ، إنني متأكدة من ذلك .

وفي صباح اليوم التالي وبعد تناول طعام الفطور بادرته سائلة :

ـ هل لك أن تشرح لي ما الذي يحدث على الحدود الشمالية الهندية ؟

وامتقع وجه اللورد فجأة فصاح سائلاً :

ـ من الذي حدثك عن هذا الموضوع ؟

ـ إنك تعرف جيداً أنني لا أحدث أحداً على الإطلاق ، لكنك سمحت لي بالقراءة على الأقل !

ـ سأحاول أن أجد لك بعض المقالات حول هذا الموضوع ، إن كان الأمر يهمك لهذه الدرجة .

ـ إنني أفضل سماع وجهة نظرك في الموضوع .

ـ في أي موضوع بالضبط ؟

ـ الخطر الذي تشكله تلك الدويلات الصغيرة المستقلة الموجودة في شمالي الهند .

وتعجب اللورد لهذه المعلومات ، وبعد لحظات من التفكير أجابها بكل هدوء :

ـ إن ما قرأته في الكتب والمجلات معلومات خاطئة إذ إن وسائل الإعلام تحاول دائماً تضخيم الأمور .

ولم تجب « ليتونيا » ، وازاء هذا الصمت أراد اللورد معرفة رد فعلها على هذا الجواب ، فسألها قائلاً :

ـ هل تصدقين ما قلته لك ؟

ـ كان بامكاني تصديق ما قلته لي ، لو لم أسمع ما جاء على لسان المسمى « ستيفنسن » البارحة .

وفقد اللورد أعصابه لهذا الجواب ، ولم يجد بداً من مصارحة « ليتونيا » .

ـ حسناً هناك بعض الحقيقة فيما جاء على لسان « ستيفنسن » لكن ذلك ليس له أية علاقة بمهمتي . إنني مكلف بالاتصال ببعض

الأمراء ، والاستفهام منهم إن كانوا بحاجة إلى مساعدة عاجلة ، هذا كل ما في الأمر .

وشعرت « ليتونيا » بالفرح يغمر قلبها ، فقد تمكنت من الحصول على بعض المعلومات عنوة وأجابت بلهجة منتصرة :

ـ شكراً لك على هذه المعلومات ، ولكن هناك أمر آخر يشغل بالي أود أن أعرف إلى أية جهة نحن ذاهبان ؟

ومرة أخرى فقد اللورد أعصابه فأجاب بحدة :

ـ إنك ألحّ من ذبابة كبقية النساء تماماً . . . حسناً سأقول لك إلى أين نحن ذاهبان ، لكن ذلك لن يفيدك في شيء ولن تجدي أية معلومات حول المنطقة التي سنقوم بزيارتها في الكتب .

ـ لكنني لست بحاجة إلى قراءة الكتب من أجل الحصول على المعلومات .

ـ وكيف ذلك ؟ سأل اللورد بعصبية .

ـ سأحصل عليها منك !

لم يكن اللورد يتوقع منها هذا الجواب ، ولم يستطع إخفاء ضحكته فأجاب قائلاً :

ـ حسناً لقد ربحت يا « ليتونيا » . والآن قولي لي ما الذي تريدين معرفته ؟

واجتاز القطار مسافات شاسعة قليلة السكان ، حيث كانت القرى الصغيرة تبعد كل البعد عن الحضارة ، وتظهر كأنها تنتمي إلى عالم آخر .

كانت كل قرية تتألف من عدة منازل من الطين ، ومن ساحة رئيسية ومن البزار أي السوق ، وهو المركز الحيوي للقرية .

وسعدت « ليتونيا » لمرور النهار بسرعة .

ـ يبدو أنك معتادة على الأسفار الطويلة ، قال لها اللورد قبل أن يتوقف القطار في المحطة الأخيرة .

ـ بل إنني معتادة على ركوب الخيل .

ـ ستسعدين إذاً بركوب الخيل الآن ، سنضطر للانتقال بها من مكان لآخر .

بعد هبوطهما من القطار ، لاحظت « ليتونيا » الجياد الأصيلة التي كانت تنتظرهما لنقلهما إلى ذلك المكان المجهول . كانت قافلتهما تتألف من فيل يحمل معظم الأمتعة وعدد من الخدم وضابطين إنجليزيين . واستغربت « ليتونيا » ارتداء اللورد اللباس العسكري ، وفهمت أن مهمته الرسمية تفرض عليه ذلك .

« إنه رجل جذاب » قالت في سرها .

وقاد الدليل القافلة في طريق ترابية ضيقة ، إلى أن ظهر أمامهم قصر ضخم تحيط به الحدائق وعدة سواقٍ . وأمام المدخل الرئيسي وقف عدة جنود حاملين أسلحتهم الفردية من أجل حراسة القصر .

كانت المنطقة التي يوجد فيها قصر الأمير رائعة ، وشكرت « ليتونيا » في سرها « طوني » التي أتاحت لها فرصة زيارة الهند والاستمتاع بتلك المناظر الخلابة .

ترجل اللورد فتبعته « ليتونيا » ، وقادهما أحد العاملين في القصر إلى قاعة كبيرة تطل على الحديقة .

كان الطقس حاراً للغاية وأضفت الجلبة التي كانت تسيطر على أجواء القصر نوعاً من الجو الخانق . ولاحظت « ليتونيا » الكرسي الخشبي الضخم المخصص للـ «راجا» الذي يتصدر الغرفة . وكان الأمير الهندي يلبس ثوباً تقليدياً مزركشاً رائعاً ، وزين عنقه عدد كبير

www.elromancia.com

من العقود الباهظة الثمن ، وحمل بيده صولجاناً مذهباً ومرصعاً بالماس .

كان « الراجا » شاباً في مقتبل العمر ، نحيل الوجه ، جميل التقاسيم . استقبل الأمير الهندي اللورد بكل حفاوة ودعاه للجلوس فوق أحد المقاعد إلى جانبه ، فيما جلست « ليتونيا » فوق إحدى الكراسي بعيداً عنهما .

- إننا سعداء حقاً بوجودك بيننا ، قال الراجا للورد بلهجة إنجليزية ممتازة .

وعلمت « ليتونيا » فيما بعد أن الأمير قد تلقى دروساً جامعية في إنجلترا .

- إنني سعيد بالتعرف إليك ، أجاب اللورد بكل احترام . ودار الحديث بين الأمير واللورد حول أمور مختلفة فيما كان مستشارا الراجا يستمعان إلى الحديث بكل اهتمام ، ولاحظت « ليتونيا » أن هذين كانا ينظران إلى اللورد بنوع من الحذر وعدم الارتياح .

«إنهما يدبران مكيدة ما » قالت في سرها ، أرجو أن يكون اللورد قد لاحظ ذلك .

وانتهت الجلسة بعد أن تناول الحاضرون شراباً منعشاً وبعض الحلوى .

واقتيد اللورد و « ليتونيا » إلى الجناح المخصص لاستضافتهما . كانت الغرف مريحة لكنها لا توازي رغم ذلك فخامة القصر وغرفه الرئيسية . وفيما كانا يتناولان الطعام ، شرح لهما اللورد وضع هذه الدويلة قائلا :

- إنها إمارة صغيرة جداً وفقيرة للغاية ، لقد شيد هذا القصر منذ

فترة بعيدة للغاية ، لكن الناس يعيشون سعداء بعيداً عن مشاكل المدينة وصخبها .

- إنه عالم آخر حقاً . أجابت « ليتونيا » .

www.elromancia.com

خلال الأربع والعشرين ساعة بعد ذلك ، لم تسنح الفرصة لـ « ليتونيا » من أجل التحدث إلى اللورد « برانسكوب » . فقد كان هذا الأخير مشغولاً باجتماعاته مع « الراجا » ومستشاريه .

وقرأت الفتاة في المرات القليلة التي شاهدت فيها اللورد ، ذلك اليوم ، أمارات الارتياح على وجهه ، وفهمت أنه قام بمهمته على أكمل وجه ، ولم يواجه أية صعوبة .

وفي المساء اختلى اللورد بالأمير في جلسة مغلقة ولاحظت « ليتونيا » مرة أخرى عدم ارتياح عدد من المستشارين المسنين لهذه الاجتماعات ، فقد بدت عليهم أمارات الغضب . فكانوا يتناقشون بصوت عالٍ متناسين وجود « ليتونيا » إلى جانبهم . ولم تستطع الفتاة معرفة سبب انزعاج هؤلاء المستشارين وسر عدم ارتياحهم .

وفي صباح اليوم التالي أخبرها اللورد بأن المهمة الرسمية قد انتهت ، فجمعت حقائبها ورافقت اللورد لإلقاء تحية الوداع على الأمير .

وأعجبت الفتاة مرة أخرى بأناقة اللورد « برانسكوب » ولباقته في التحدث مع الناس . وأكثر ما أثار استغراب « ليتونيا » كان

علامات الارتياح التي قرأتها على وجه الأمير وحاشيته وعلمت الفتاة أن اللورد استطاع حل المشكل الذي كان يثير انزعاج المستشارين .

وغادر اللورد ومرافقوه القرية الصغيرة في الصباح الباكر ، هرباً من التعرض لأشعة الشمس الساطعة فترة طويلة من النهار ، واضطرت « ليتونيا » مرة أخرى لامتطاء الحصان كبقية المرافقين ، وشعرت بلذة كبيرة في القيام بهذه الرحلة .

وبعد اجتياز مسافة طويلة توقف اللورد و « ليتونيا » بعض الوقت للارتياح والسماح للجياد بتناول شيء من التبن .

وقفت الفتاة تحت إحدى الأشجار إلى جانب اللورد ولم تستطع منع نفسها من طرح السؤال الذي كان يشغل بالها :

ـ ما رأيك في « الراجا » ؟ وهل تظن أن دويلته تحتم وجود حاكم عسكري إنجليزي ؟

وظنت الفتاة أن اللورد يفضل عدم الإجابة على سؤالها ، فقد لزم الصمت عدة ثوان قبل أن يقول :

ـ بما أنك مهتمة لهذه الدرجة بهذا الموضوع ، يمكنك أن تعطيني انطباعاتك حول هذه الزيارة أولاً ؟

وشعرت « ليتونيا » بأنها محاولة من اللورد في امتحان ذكائها وقدرتها على الملاحظة ، فحاولت أن تجيب بكل رزانة :

ـ لقد لاحظت منذ وصولنا إلى إمارته أن « الراجا » شخص ذكي للغاية ، وقد شعرت أيضاً ان مستشاريه كانوا يخشون شيئاً ما إثر زيارتك . وقد بدا عليهم القلق عندما اختليت « بالراجا » في جلسة مغلقة .

وتعجب لهذه الملاحظات ، فلم يكن يتوقع أن تكون « ليتونيا » بمثل قوة الملاحظة هذه .

- إنك شديدة الملاحظة يا « ليتونيا » !

- هل أنا على حق ؟ هل كان لديهم شيء ما يحاولون اخفاءه؟

وبعد صمت ثقيل أجاب اللورد بحدة :

- لا أريد أن أدخل في تفاصيل مثل هذه الأمور معك يا « ليتونيا » .

- أرجوك قل لي ما الذي كان يشغل بالهم .

- حسناً ! ولكنها المرة الأخيرة التي نتحدث فيها في مثل هذه المواضيع .

- أخبرني أرجوك ! قالت «ليتونيا» إنني شديدة الفضول .

- إن الأمر عادي للغاية ، فقد تلقى الأمير ثقافة أوروبية ، وقد أظهر رغبته في تطبيق بعض التعديلات على طريقة الحكم ، فاغتاظ المستشارون ، فهم يفضلون المحافظة على التقاليد القديمة وعلى الوضع القائم ، كما هو دون أي تغيير .

- لقد خافوا أن يطلب مساعدتك في ذلك !

- أجل ، لقد حدثني عن هذه الأمور لكنه لم يطلب مساعدتي ، وفضلت عدم التدخل في هذه الأمور الداخلية المحضة . وهذا ما يفسر ارتياح المستشارين بعد الزيارة .

- لقد نجحت في أولى مهامك إذاً ، ولم تكتشف أي مشكل يستلزم التدخل .

- لا ، الحمد لله . أجاب اللورد بهدوء . وبعد صمت ثقيل أردف قائلاً :

- هل تعلمين ما الذي كان سيحصل له لو طبق بعد الإصلاحات ؟

وازداد اهتمام « ليتونيا » بالموضوع فصاحت قائلة :

- لا ، ما الذي كان سيحدث له ؟

- إن الأمراء غير المرغوب فيهم في هذه المناطق يموتون بصورة مفاجئة ، وقد يتعرضون لحوادث غريبة ، فقد يصاب الأمير مثلاً بلدغة عقرب أو حية ، أو انه يتناول وجبة طعام مسمومة أو . . . . وإلى ما هنالك من قصص غريبة .

- إنها أمور مخيفة حقاً ! اجابت « ليتونيا » .

- إذاً حاولي نسيان هذا الموضوع ، وقد تتغير هذه الاوضاع خلال زيارتنا القادمة .

كانت الإمارة الثانية التي يجب على اللورد زيارتها تقع في أقصى شمالي البلاد، فاضطر الوفد لقضاء ليلتين متتابعتين في القطار، قبل الوصول إلى المكان المنشود . وأعجبت « ليتونيا » خلال الرحلة بالمناظر الطبيعية وجمال القرى الصغيرة والبسيطة ، وبحسن معاملة الناس في كل محطة كان يتوقف فيها القطار .

كانت معظم القرى عبارة عن واحات خضراء صغيرة ، بسبب الجفاف الذي كانت تعاني منه المنطقة ، وتتألف كل واحة من عدد قليل جداً من بيوت الطين وبعض الأشجار وبئر للماء . وأكثر ما أثار تعجب « ليتونيا » هو توصل الإنجليز الذين يوجدون في تلك المناطق النائية إلى كل حاجياتهم الكبيرة والصغيرة منها من الوطن الأم . فبالإضافة إلى المستوصف والبريد والشرطة يوجد المتجر الصغير الذي يباع فيه كل ما يحتاج إليه الضابط أو العسكري .

أمضت الفتاة معظم أوقاتها وحيدة في القطار ، تراقب القرى والمناظر الطبيعية فيما كان اللورد مشغولاً بقراءة الجرائد ، أو كتابة تقاريره أو مجتمعاً مع الضباط الذين يرافقونه في مهمته . ولم تكن « ليتونيا » تتبادل معه أطراف الحديث إلا في أوقات تناول وجبات

www.elromancia.com

الطعام الرئيسية . وكانت معظم أطباق الطعام التي تقدم لهما تحمل رائحة وطعم الغبار لكن « ليتونيا » كانت تشعر رغم ذلك بفرحة غامرة لقيامها بهذه المغامرة الشيقة .

وكانت الفتاة تنظر إلى الهند كبلد تعبق منه رائحة التوابل والعطورات ، وتسمع فيه أصوات موسيقى « التام تام » رسمت فوق أرضه آثار أقدام الفتيات الراقصة .

كانت « ليتونيا » تتخيل نفسها وهي تعيش حلماً جميلاً ، ومع مرور الوقت استطاع اللورد « برانسكوب » أن يتخلى عن معاملته السيئة لها ، فبات يرد على اسئلتها بكل لطف وتحاشى في نفس الوقت إعادة ذكر تصرفات « طوني » في لندن .

ووصل القطار إلى « أوتا » ،المنطقة الشهيرة بالبحيرات والأشجار والطيور والقصور. وتأملت « ليتونيا » القصر الأبيض الذي شيد فوق إحدى التلال ، والأبواب الخشبية المحفورة الضخمة ، وقوافل الأفيال المزينة . كان المنظر رائعاً .

كان « الراجا » الذي يحكم تلك المنطقة رجلاً كبير السن يتمتع بسلطة كبيرة في البلاد ، فظنت « ليتونيا » أن اللورد « برانسكوب » لن يجد أية صعوبة في القيام بمهمته في تلك المنطقة لكنها شعرت بالحذر تجاه هذا الرجل ، منذ اللحظة الأولى التي قدم فيها إليها ولم تستطع معرفة سر هذا الشعور .

وبقي اللورد و « ليتونيا » والوفد المرافق لهما ثلاثة أيام في القصر ، زارت الفتاة خلالها كل أنحاء القصر ،والحدائق ، وتعرفت أيضاً على « الرنا » أي الأميرة ، كانت هذه الاخيرة فتاة في منتهى الجاذبية واللطافة ولكنها ولسوء الحظ لم تكن تتكلم الأوردي أو الإنجليزية .

حاولت « ليتونيا » التفاهم معها بوساطة الحركات ، فعرضت

عليها « الرنا » مجوهراتها الغالية وفساتينها المطرزة باليد وأمضت الفتاة وقتاً ممتعاً برفقتها .

وانتهت الزيارة وانتقلت «ليتونيا» برفقة اللورد إلى محطة القطار على ظهر عربة أنيقة .

ـ ما رأيك بهذه الزيارة ؟ سألت « ليتونيا » ، فيما كان اللورد يحيي مضيفيه بحركة أخيرة من العربة .

ـ إنني أنتظر حكمك ! أجاب اللورد بهدوء .

ـ إن كل شيء يسير على ما يرام ولكنك لا تقاسمني الرأي على ما أعتقد !

ـ وهل تستغربين ذلك ؟

ـ لا ، إنك دائم الحذر . لقد لاحظت ذلك منذ أن تعرفت إليك .

ـ هل تعنين أنني حذر فيما يخصك ؟

ـ أجل . ولكن قل لي ما الذي يشغل بالك الآن ، إنك لم تكتشف شيئاً ؟

ـ وهذا ما يشغل بالي بالضبط ،إنني لم اكتشف شيئاً !

ـ هل كنت تتوقع حدوث أمر ما ؟

ـ ليس بالضبط ، كما أنني لم أطلع على تقارير الأشخاص الذين يعملون لدينا في هذه الإمارة ، وقد اكتشف شيئاً بعد قراءتها .

واستاءت « ليتونيا » من هذه الفكرة وبدا عليها القلق والانزعاج فأردف اللورد قائلاً :

ـ هل تزعجك هذه الفكرة؟ إنه أمر طبيعي .

ـ بل إنني أجد هذه الطريقة خسيسة للغاية .

وضحك اللورد «برانسكوب» وأجاب :

ـ إنها أفكار خاصة بك يا عزيزتي « ليتونيا » ، ألم أقل لك بأنه من الأفضل ألا تحاولي فهم كل هذه الأمور . إن فضولك سيجعلك تكتشفين أموراً لا تتقبلينها أبداً .

ـ لا يحق لكم التدخل في أمورهم الخاصة ، إنني ضد هذه الفكرة مهما كانت دوافع الإنجليز التي تحثهم على ذلك .

وقهقه اللورد ثانية .

ـ إنها أمور سياسية يا عزيزتي ودعك من هذه المواضيع الآن وإلا سندخل في جدل بيزنطي لن نخرج منه بنتيجة .

ـ أظن ذلك ، أجابت « ليتونيا » ، إنني لا أؤيد رأيك في هذه المواضيع ، فمن الأفضل ألا نتطرق لذلك . إلى أين نحن ذاهبان الآن .

ـ سنمضي هذه الليلة وبصورة استثنائية في إحدى الثكنات العسكرية (وأمام أمارات التعجب التي بدت على وجه « ليتونيا » أضاف اللورد قائلاً :) أخشى أن تكون السهرة مملة للغاية سأضطر لتناول طعام العشاء مع بعض الضباط ولا أظن أن مشاركتك لنا ستكون مستحبة .

ـ هذا يعني أنني سأكون وحيدة !

ـ أجل طبعاً ، سأطلب من بعض الجنود القيام بحراستك .

وتوقف القطار أمام الثكنة العسكرية بعد اجتياز مسافة طويلة . كانت المنطقة قاحلة ، والثكنة عادية للغاية ، توجهت «ليتونيا» مباشرة إلى الجناح المخصص لها . ودخلت إلى غرفتها وقررت أن تأخذ قسطاً من الراحة .

وفي هذه الأثناء ارتدى اللورد لباسه العسكري الرسمي وغادر

غرفته المقابلة لغرفة « ليتونيا » وذهب للاجتماع بالضباط قبل تناول طعام العشاء .

وقبعت الفتاة وحيدة في غرفتها ، وقالت في سرها : « لحسن الحظ أنني لم أدع لتناول طعام العشاء معهم . إنني متعبة بعض الشيء . وأظن أن اللورد مكلف بالقيام بمهمة هامة للغاية ، إن هذه الاجتماعات ضرورية من أجل إتمام مهامه» .

ولم يكن ذلك بالأمر الغريب ، فقد كان اللورد رجلاً قوي الشخصية ، يقوم بدوره بكل تفانٍ . كان يحظى باحترام كبير بين أعوانه ، وفهمت « ليتونيا » سر اعتزاز والد « طوني » به ، فقد كان شديد الذكاء ، يفرض رهبته على كل الأشخاص الذين يتعرف إليهم .

جلست تطالع في غرفتها وكادت تسترسل في النوم عندما قرع باب غرفتها . فدعت الطارق للدخول . وإذا هو أحد الخدم يحمل إليها طعام العشاء المؤلف من طبق من الدجاج وطبق من السلطة وقطعة من الحلوى .

« يجب أن أعتاد على حياة الجنود وطعامهم » قالت في سرها وابتسمت « إنها مغامرة جميلة حقاً » .

انتهت من تناول طعام العشاء وعادت إلى الصالة لتناول قدح من الشاي ثم تابعت قراءتها .

أمضت حوالى نصف ساعة مستغرقة في القراءة عندما سمعت أزيز عربة في الخارج ثم صوت وقع خطوات .

« لقد عاد اللورد « برانسكوب » قالت في نفسها» ودخل اللورد إلى الغرفة . فنظرت إليه بكل إعجاب فقد كان أنيقاً للغاية في بدلته العسكرية .

ـ ظننت أنك نمت ، قال لها ، هناك شخص أود أن أقدمه إليك وأظن انك ستسعدين بلقائه ثانية .

واستغربت « ليتونيا » من كلمات اللورد الأخيرة وشعرت بنوع من الارتباك والحذر يستوليان عليها فجأة . « إنه شخص يعرف « طوني » دون شك فقد قال لي إنني سأسعد بلقائه ثانية » . وفي هذه الأثناء عاد اللورد « برانسكوب » مصحوباً بشخص آخر في مقتبل العمر يلبس نفس بدلة اللورد .

وارتبكت « ليتونيا » ، واحتارت في أمرها فيما كان اللورد ينظر إليها ويراقب ردة فعلها لرؤية هذا الشاب . وقال اخيراً بلهجة ساخرة :

ـ أظن أنك تتذكرين « أندرو لودينغتون » .

وحبست « ليتونيا » أنفاسها عند سماع هذه الكلمات ، ونظرت إلى الزائر الغريب ولاحظت استغرابه في نفس الوقت . فقال هذا الأخير بعد صمت طويل وبلهجة متلعثمة :

ـ إنني آسف يا سيدي اللورد ، لقد حصل لبس في الموضوع . لقد كنت أظن أن ابنة أخيك ترافقك في هذه الزيارة!

وجاء دور اللورد في الاستغراب .

ـ لكنها . . . لكنها ابنة اخي !

وابتسم أندرو وأجاب بحياء :

ـ كنت أتوقع رؤية الآنسة « ليتونيا كومب » التي تعرفت إليها في لندن . لقد كان يطلق عليها اسم « طوني » . يبدو أن الأمر يتعلق باحدى بنات اخيك الأخريات . ولقد كنت أشك في قبول « طوني » زيارة الهند ومغادرة انجلترا إنها تمضي أوقاتاً ممتعة للغاية في لندن . عذراً يا سيدي اللورد مرة ثانية .

وانسحب الرجل الشاب دون أن يضيف كلمة واحدة . رافقه

اللورد «برانسكوب» إلى خارج الغرفة فيما مكثت « ليتونيا » جامدة في مكانها لا تصدق كل ما يحدث، كانت تفضل الاختباء في أي مكان على مواجهة غضب اللورد «برانسكوب». لكنها فضلت الانتظار والبوح بالحقيقة مهما كان الثمن غالياً .

عاد اللورد « برانسكوب » إلى الصالة واغلق الباب بعصبية وقال :

ـ أظن أنه من حقي الحصول على شرح لهذا الموقف !

ـ إنني آسفة حقاً . . . لقد خدعتك .

ـ إنك لست ابنة أخي . فمن تكونين إذاً ؟ صاح بحدة .

ـ إنني « ليتونيا هيث» .

وبرقت عينا اللورد عند سماع هذا الاسم . وبعد صمت ثقيل سأل بهدوء :

ـ هل تقصدين أنك ابنة «أرثير» و « اليزابيث هيث » ؟

ـ بالضبط .

ـ لقد كنت أعرف ان لديهما ابنة في مثل سن « ليتونيا » ، لقد حدثاني عنك مطولاً . ولكن بحق الله قولي لي ما الذي جاء بك إلى هنا عوضاً عن ابنة اخي .

وفقدت « ليتونيا » القدرة على الكلام أمام غضب اللورد الجامح فاستجمعت كل قواها وأجابت بلهجة متهدجة :

ـ لم يكن باستطاعة « طوني » مغادرة انجلترا في هذه الفترة .

ـ وكيف ذلك ؟ ولماذا ؟

ـ إنها تحب المركيز . . .

ولم تستطع الفتاة إتمام جملتها فضرب اللورد بيده فوق الطاولة وقال بحدة :

ـ إنهاليست المرة الأولى التي تقوم بها هذه الفتاة الحمقاء بمثل هذه

www.elromancia.com

التصرفات ، لقد انتقلت الآن من المسكين « لودينغتون » إلى المركيز . . . ستدفعان ثمن هذه الخدعة غالياً .

ـ إنك تخطىء الظن في « طوني » ، إنها على وشك الزواج الآن .

ـ إن ذلك ليس سبباً كافياً من أجل عدم إطاعة أوامري وخداعي بهذه الطريقة . كيف تجرؤين على الدفاع عنها بعد أن كشفت حقيقة أمركما . كان بإمكانها أن تخبرني بقصتها كاملة ، إنني وليّ أمرها الآن .

ـ وهل كنت ستستمع إليها ؟

وأخذ اللورد يزرع الغرفة ذهاباً وإياباً .

ـ كان يجدر بي أن أشك بالأمر . إنك مختلفة تماماً عنها . لقد قمت بتصرف مهين بقبولك القيام بدورها .

ـ إنني آسفة . . . حقاً آسفة .

ـ هذا أقل ما يمكن أن تقوليه .

وأمام صمت « ليتونيا » تابع اللورد قائلاً :

ـ لقد وصلتني هذه البرقية في أثناء تناول طعام العشاء واضطررت إلى فتحها . فقد كنت أخشى قراءة خبر سيء .

ومد الورقة لـ « ليتونيا » فتناولتها يد مرتعشة ووجدت صعوبة في قراءتها من شدة الارتباك الذي كان يسيطر عليها . وشعرت بسعادة كبيرة تغمر قلبها عندما قرأت الكلمات التالية :

« لقد تزوجنا هذا الصباح . لقد توفي والد « إيفن » الأسبوع الماضي . إنني سعيدة للغاية . قبلات » .

تنهدت « ليتونيا » بعمق وقالت :

ـ إنه خبر سار للغاية على ما أظن .

ـ هل أفهم من ذلك أنك تزفين إليّ خبر زواج ابنة اخي !

ـ أجل . لقد تزوجت وقد أصبحت الآن بعد وفاة والد زوجها دوقة هامبتون .

كانت « ليتونيا » تظن أن هذا الخبر سيخفف من ثورة غضب اللورد فقد أصبحت « طوني » الآن دوقة . وأمام صمت اللورد تابعت قائلة :

ـ لكن لقب زوج « طوني » لا يعني لها شيئاً . إنها تحبه منذ فترة طويلة وستعيش حياة سعيدة إلى جانبه .

ـ يا للسعادة ، قال بلهجة هازئة ، أظن أنك لا تقدرين خطورة الموقف الذي نوجد فيه نحن الاثنين الآن بعد مشاركتك بهذه اللعبة الخطيرة .

وأمام حيرة « ليتونيا » أضاف اللورد قائلاً :

ـ أرى أنك لست بهذا الذكاء لفهم خطورة الموقف . إنك تقومين بدور ابنة أخي وترافقينني في رحلة بعيدة . ألا تظنين أن ذلك سيؤثر في سمعتك في المستقبل ؟

واحمرت وجنتا « ليتونيا » خجلاً وشعرت لأول مرة بهول الخطأ الذي أقدمت عليه .

ـ أريد أن أعود إلى منزلي في الحال . . . ولن يعرف أحد بهذا الموضوع .

ـ وهل تظنين أن ذلك ممكن الآن ؟ لقد نشرت الجرائد دون شك خبر زواج « طوني » ولقد تزوجت من دوق كما ذكرت سابقاً فلا بد أن ينشر الخبر في الجرائد، وكثيرون هم الأشخاص الذين يعرفون أن لديّ ابنة أخ واحدة .

ـ أما أنا فلا يعرفني أحد . لقد توفي والداي كما تعلم . لقد عشت حياة هادئة في الريف في انجلترا برفقة مربيتي المسنّة . لقد أخذت

« طوني » مكاني في المنزل ولا أحد يعرف أنني قمت بهذه الرحلة عوضاً عنها . فمن الذي يشك لحظة واحدة أنني قمت بهذه الرحلة برفقتك .

ـ إنك لا تقدرين خطورة الموقف . لقد ظننتك للحظة إنسانة واعية ومسؤولة جديرة بالثقة ! (وامام صمت « ليتونيا » أردف قائلاً) يتعرف إليك أحد في الباخرة لانني عزلتك عن العالم . أما منذ وصولنا إلى الهند فقد قدمتك إلى عدد كبير من الضباط بصفتك ابنة أخي . إن معظم هؤلاء يقرؤون الجرائد الإنجليزية وسيشيع خبر زواج « ليتونيا » في انجلترا . فما سيكون موقفي ؟ وكيف لي أن أبرر قيامي بهذه المهمة برفقة امرأة غريبة ؟

واستولى الرعب على « ليتونيا » وأخذت ترتجف . وندمت على هذا التصرف الأحمق الذي قامت به، ولامت نفسها لأنها سمعت كلام « طوني » ولكنها كانت سعيدة بزواج قريبتها وقالت في سرها « إنها غيمة سوداء وستمر بسلام » .

وإزاء صمت اللورد أجابت بصوت متهدج :

ـ لقد حصل ما حصل الآن . . . لا يمكنني أن أفعل شيئاً سوى الاختفاء والعودة إلى انجلترا في أقرب وقت ممكن . وأظن أن كل الذين تعرفوا إلي في الهند سينسون وجودي بعد فترة . يمكنك أن تقول مثلاً إنني توفيت كما توفي والدي ووالدتي تماماً .

وانهمرت دموع « ليتونيا » فوق وجنتيها دون شعور فَلاَنَ موقف اللورد وقال لها :

ـ هناك حل آخر يساعد على إنقاذ سمعتك وإنقاذ موقفي في نفس الوقت .

ـ أي حل هذا؟ سألت باستغراب .

ـ الزواج . يمكننا أن نتزوج .

وظنت « ليتونيا » لأول وهلة أنها لم تسمع جيداً لكن اللورد أضاف مؤكداً :

ـ إنها الطريقة الوحيدة . سأقول لكل الأشخاص الذين تعرفوا إليك إننا اضطررنا للتصرف بهذه الطريقة وذلك لأننا تزوجنا قبل مرور فترة الحداد بعد وفاة والديك . قد يستغربون الأمر في البداية لكن ذلك أفضل بكثير من إلحاق الأذى بسمعتك .

ـ لكنني قلت لك . . . إنني أريد أن أعود إلى إنكلترا فوراً .

ـ وهل تظنين أن ذلك ممكن ، صاح اللورد « برانسكوب » ، إن ألسنة الناس لا ترحم ، فما الذي سيقوله عنك أهالي القرية لو عرفوا أنك قمت برحلة إلى الهند برفقة رجل غريب .

ـ إنني واثقة من نفسي . . . ولا يهمني كلام الناس .

ـ لن يدعوك وشأنك ، إن المجتمع عادة لا يغفر غلطة المرأة أبداً .

ـ لقد حاولت مساعدة « طوني » ، هذا كل ما في الأمر . لقد كان والدا المركيز يريدان أن يزوجاه من إحدى الأميرات فاضطرت « طوني » للبقاء في إنكلترا من أجل إنقاذ حبها . أردت فقط مساعدتها على تحقيق سعادتها !

ـ إنني أفهم الموضوع الآن . يبدو أن « طوني » أرادت أن تلعب بعواطف « إيفن » كما لعبت بعواطف « أندرو » من قبل . إنها فتاة حمقاء وأخجل من تصرفاتها .

ـ إنك تشوّه الواقع ، أجابت « ليتونيا » ، إن المركيز يحب « طوني » بصدق ، لقد رأيتهما معاً ، لقد حققت ابنة أخيك سعادتها الآن . (واستعادت أنفاسها وأضافت :) إنني أفهم جيداً أنك ترفض تصديقي بسبب غضبك على تصرفات « طوني » .

أقسم لك بأن كل ما قيل لك بشأنها مبالغ فيه . إنها فتاة رزينة للغاية .

- إن أي إنسان رزين لا يمكنه أن يقوم بمثل هذا التصرف . ولقد استخدمتك من أجل تحقيق هدفها .

- إنني سعيدة بذلك . ولم أنزعج لحظة واحدة من الحبس الإجباري الذي فرضته علي طوال هذه الرحلة . إنني أعيش حياة هادئة في الريف وأعتبر « طوني » أكثر من توأمة بالنسبة إلي . ولقد قمت بهذا الدور بكل فرح وإنني مستعدة لتحمل كل مسؤولياتي الآن بعد أن حققت « طوني » رغبتها .

وتعجب اللورد للهجة الفتاة الصادقة وأجاب :

- لقد أخطأت بدوري ، كان يجدر بي أن أذهب بنفسي إلى القصر للبحث عن « طوني » .

- إن ذلك لم يكن ليغير الخطة أبداً ، لقد كانت « طوني » مصممة على البقاء في إنكلترا كما أنني كنت مصممة على مساعدتها مهما كلف الأمر . كان باستطاعة « طوني » أن تجد أي ذريعة أخرى من أجل عدم القيام بهذه الرحلة . حاول أن تفهمني أرجوك إن « طوني » فتاة رائعة تحب الحياة وقد عاشت طفولة حزينة داخل منزلها كانت تفتقد إلى العطف من طرف والديها. وأذكر أن والدتي قد قالت لي إحدى المرات إثر عودتنا من زيارة قمنا بها للقصر «إن» «طوني» تعيش وحدة قاتلة إلى جانب والديها».

- كنت أظن أن أخي قد قدم لابنته كل ما كانت تتمنى في طفولتها . فقد كان شخصاً غنياً للغاية .

- أجل لقد قدم إليها كل شيء . . . ما عدا الحب والحنان . لقد كان الحزن يخيم على القصر دائماً ولم يكن والدا « طوني » سعيدين في

حياتهما . لقد كانا يفتقران إلى السعادة والحب . وقد انعكس ذلك سلباً على « طوني » .

وامتلأت عينا « ليتونيا » بالدموع فقد تذكرت سعادة والديها وتذكرت حادثة وفاتهما المؤلمة .

ونظرت الفتاة إلى اللورد قبل أن تغادر الغرفة وقالت :

- إنني آسفة . . . آسفة حقاً على كل ما أقدمت عليه . لو كان والداي على قيد الحياة لساعدا « طوني » في تحقيق سعادتها ولقد فعلت ذلك مكانهما وأظن أنهما سيتفهمان هذا التصرف الذي قمت به .

وقبل سماع رد اللورد مسحت دموعها بيدها وغادرت الصالون بسرعة وركضت نحو غرفتها .

بكت « ليتونيا » طويلاً في فراشها ولم تسترسل في النوم إلا مع بزوغ الفجر . واستيقظت مذعورة عندما سمعت طرقاً فوق بابها .

ـ ما الأمر ؟ سألت .

ـ إن اللورد سينطلق بعد ساعة تقريباً يا سيدتي !

ـ حسناً سأكون جاهزة . أجابت .

ونهضت «ليتونيا» بسرعة وارتدت ثيابها وتوجهت نحو الصالة لتناول طعام الفطور لكن اللورد لم يكن في الغرفة على غير عادته فقد اعتادا على تناول وجبات الطعام معاً .

وظنت « ليتونيا » أنه ذهب لمقابلة الضباط قبل مغادرة الثكنة وشعرت بالارتياح لعدم وجوده خاصة بعد المواجهة الحامية التي عرفاها مساء البارحة .

لم يخطر ببالها للحظة واحدة إمكانية تعرضها للقاء أحد معارف « طوني » القدماء خاصة في البلاد البعيدة ولم يخطر ببالها أيضاً أن يكون « أندرو لودينغتون » قد عاد للخدمة العسكرية في الهند . وفهمت « ليتونيا » عند ذلك سر حقد اللورد على « طوني » فهو يعرف « أندرو » جيداً ويبدو أنه شاب مهذب ولطيف ويخدم إلى جانب ذلك

في الشعبة العسكرية التابعة للورد « برانسكوب » .

ـ ولكن مهما يكن من أمر ومهما كان موقف اللورد فلا زلت أؤكد أن « أندرو لودينغتون » شاب ضعيف الشخصية وإلا لما كان أقدم على هذا العمل الأحمق ، تمتمت « ليتونيا » بصوت عالٍ .

لقد زاد حقد وكراهية اللورد « لطوني » الآن بعد اكتشاف هذه اللعبة التي لعبتها بمشاركة « ليتونيا » . ولم تأخذ هذه الأخيرة كلام اللورد مأخذ الجد عندما أكد لها أن الحل الوحيد للخروج من المأزق هو الزواج .

« لقد كان يهددني ، ويحاول إخافتي » قالت الفتاة في سرها . « لا بد لي من العودة إلى إنكلترا ، وفي أسرع وقت ممكن » واستولى الخوف عليها فجأة .

وقررت أن تفاتح اللورد بالأمر في أول فرصة سانحة ، إنها تملك لحسن الحظ ما يكفي من المال من أجل تحمل أعباء سفرها . ولكن كيف لها أن تعود إلى بومباي؟ لا يمكنها القيام بهذه الرحلة بمفردها . وتشابكت في مخيلتها الأفكار والأسئلة .

وفي هذه الأثناء ظهر اللورد أمامها ، وتأكدت أن الفرصة غير سانحة لتخبره بقرار رغبتها في العودة إلى إنكلترا فقد كان مصحوباً بعدد من الضباط والجنود . وتوقفت العربة أمام الباب لنقلهما إلى محطة القطار التي لا تبعد كثيراً عن الثكنة .

وتناولت « ليتونيا » مظلتها وحقيبتها وصعدت إلى العربة إلى جانب اللورد فيما جلس قبالتهما ضابطان اثنان .

وصلت العربة بسرعة إلى محطة القطار ، ونقلت الحقائب إلى المقطورة الخاصة باللورد و« ليتونيا » وفهمت هذه الأخيرة من الحديث

الذي دار بين اللورد وسائق القطار أن موعد انطلاق هذا الأخير قد قدم بناء على طلب اللورد .

ودع الضابطان اللورد « برانسكوب » وعادا أدراجهما بالعربة ووجدت « ليتونيا » نفسها قبالة اللورد فور انطلاق القطار ، ولاحظت الفتاة امارات الغضب على وجهه وكان مسترسلاً في قراءة جريدة التايمس وفهمت أنه لا يرغب في مبادلتها الحديث إثر أحداث البارحة .

وتعجبت « ليتونيا » من توقف القطار في محطة صغيرة بعد حوالى ربع ساعة من السير . كان رصيف المحطة خالياً تماماً من الناس . ولاحظت الفتاة أطفال القرية الصغيرة يتراكضون نحو القطار لرؤية هذا المشهد غير المنتظر . فلم يكن التوقف في هذه المحطة أمراً معتاداً بالنسبة إلى أهالي وأطفال المنطقة .

ولأول مرة منذ مغادرتها الثكنة التفتت « ليتونيا » نحو اللورد وسألته :

ـ لم نتوقف في هذه القرية الصغيرة ؟

ـ سأشرح لك كل شيء بعد لحظات .

وشعرت بالخوف يسيطر عليها فجأة ولم تجرؤ على الإلحاح في الموضوع . وفي هذه الأثناء دخل أحد الخدم عليهما وقدم لهما شراباً منعشاً وبعض قطع الحلوى .

شربت « ليتونيا » كوبها فيما تابع اللورد قراءة جريدته دون أن ينبس ببنت شفة . بعد مرور ٢٠ دقيقة على هذه الحال دخل الخادم ثانية واقترب من اللورد وقال له بصوت منخفض :

ـ إن كل شيء جاهز الآن يا سيدي اللورد .

ونهض اللورد من مكانه وقال لـ «ليتونيا» :

ـ هيا بنا !

واستغربت الفتاة لهجته الجافة . ودون أية معارضة تبعت اللورد وهبطت من القطار فوجدت بانتظارهما عربة متواضعة جداً يجرها حصانان عوضاً عن الأربعة . وصعدت إلى العربة وجلست إلى جانب اللورد وهي تحترق شوقاً لمعرفة ما يجول في خاطره ومعرفة خطته .

سارت العربة فوق الطريق الترابية وتبعها أطفال القرية لاهثين . وشعرت الفتاة فجأة بالقلق يسيطر عليها ، وقد منعها أزيز عجلات العربة من طرح أي سؤال على اللورد ولم يكن هذا الأخير في حالة تدل على أنه سيجيب على أسئلتها .

وابتعدت العربة وتعب الأطفال فعادوا إلى القرية وبعد اجتياز مسافة قصيرة لاحظت «ليتونيا» بناء خشبياً صغيراً .

وبحركة لا شعورية استدارت « ليتونيا » نحو اللورد وقالت بصوت عال :

ـ إنها كنيسة ! أرجوك لا تفعل هذا . . .

ـ ليس لدينا الخيار في ذلك أجاب بحدة .

أرادت «ليتونيا» أن تصرخ وتعترض لكن العربة توقفت في تلك اللحظة . ورأت رجلاً هزيل القامة ينتظرهما أمام باب الكنيسة . كان يلبس ثوباً طويلاً أسود وفهمت «ليتونيا» أنه القسّ الذي سيتم مراسيم زواجهما .

واستقبلهما رجل الدين قائلا :

ـ لقد قيل إنك ترغب في الزواج يا سيد « كومب » أليس كذلك؟

ـ أجل ، أجاب بكل تهذيب ، أقدم لك الآنسة «هيث» .

صافح القسّ « ليتونيا » ودعاهما للدخول إلى الكنيسة . كانت هذه

الأخيرة خالية تماماً من أية وردة أو شمعة .

أصيبت « ليتونيا » بالذهول ولم تصدق حقيقة ما هي مقدمة عليه وبسرعة عجيبة تناول القسّ الكتاب وقرأ بعد القطع وتمت مراسيم الزواج في أقل من عشر دقائق .

وتابع القطار سيره نحو الشمال . وظنت « ليتونيا » بأنها تعيش حلماً لم تكن تصدق بأنها قد تزوجت وبهذه الطريقة العجيبة والقاسية في آن معاً . ولم تصدق بأنها أصبحت الآن زوجة اللورد « برانسكوب » عمّ « طوني » .

والشيء الوحيد الحسي الذي كان يؤكد لها بأن زواجها حقيقة كان ذلك الخاتم الذهبي الذي خلعه اللورد من أصبعه الصغير ووضعه في أصبع « ليتونيا » لقد أصبحت سجينة اللورد مدى الحياة .

هل هي حقاً متزوجة ؟ لقد أصبحت زوجة ذاك الرجل الذي يكرهها ويكن لها الحقد والكراهية فقد أجبرها على الزواج لكي ينتقم منها ومن « طوني » لأنها خدعتاه .

« ما الذي يمكنني أن أفعله ؟ » تساءلت في سرها لكنها لم تجد جواباً لهذا السؤال .

ووصلا إلى المكان المنشود في ساعة متأخرة ظهيرة ذلك النهار . وكانت حرارة الطقس قد خفّت نسبياً .

كانت « ليتونيا » تتمنى معرفة اسم تلك المنطقة التي وصلا إليها لكنها كانت خائفة وفضلت عدم طرح أي سؤال على اللورد . فاكتفت طوال النهار بالنظر إلى السهول الواسعة التي كان يجتازها القطار وكأنه يتوجه نحو المجهول واللانهاية .

ووصلا إلى المدينة حيث كان باستقبالهما بعض مبعوثي الحاكم في تلك المنطقة . ولم تعر « ليتونيا » أية أهمية لكل ما يحيط بها في تلك

المدينة . وفي أثناء مرور العربة في السوق كانت شاردة الأفكار ، مشغولة البال لا تصدق كل ما يحدث لها .

في القصر أدخل الضيوف إلى قاعة كبيرة يطلق عليها اسم قاعة العرش ، كان « الراجا » رجلاً مسناً بعض الشيء أظهر كثيراً من اللياقة واللطف تجاه ضيوفه لكن « ليتونيا » شعرت بنوع من الحذر تجاه هذا الرجل وتساءلت في سرها إن كان اللورد « برانسكوب » يقاسمها نفس الشعور .

أظهر اللورد كعادته كثيراً من الاحترام في التعامل مع « الراجا » ونقل إليه بعباراته المدروسة تحيات ملك إنكلترا الذي يمثله في هذه المهمة .

ولأول مرة قدم اللورد « برانسكوب » « ليتونيا » إلى « الراجا » بصفتها زوجته .

ـ لقد كنت أجهل أنك متزوج ! قال « الراجا » باستغراب .

ـ لقد عدت لتوي من إنكلترا ، أجاب اللورد « برانسكوب » ، وقليلون هم الأشخاص الذين يعرفون أن زوجتي ترافقني في هذه الرحلة .

ـ إنني سعيد باستقبالها في قصري والتعرف إليها ، ولا بد لنا من الاحتفال بهذه المناسبة ، أرجو أن تعجبك حفلة الرقص التي سنقدمها لك .

ـ إنها مبادرة لطيفة من طرفك ، أجاب اللورد .

كان الجناح المخصص للضيوف في القصر مجهزاً بكل لوازم الراحة كما وضع خادمان تحت تصرف اللورد و« ليتونيا » من أجل تلبية كل طلباتهما .

لبست الفتاة أجمل فساتين « طوني » من أجل حضور حفلة العشاء

التي أقامها « الراجا » على شرفها ، فبدت رائعة الجمال رغم افتقارها لشيء هام بالنسبة إلى سيدة في مستوى زوجة اللورد « برانسكوب » ، فلم تكن « ليتونيا » تتزين بالجواهر كما هي العادة عند سيدات المجتمع الانجليزي . وكان الخاتم الذهبي الذي يلمع في أصبعها زينتها الوحيدة .

كانت « ليتونيا » عصبية بعض الشيء ووجدت صعوبة كبيرة في تصفيف شعرها على غير عادتها . وخرجت إلى الصالة حيث كان ينتظرها اللورد وقد بدا عليه القلق لتأخرها .

ـ إنني آسفة . . . قالت . لكنه غادر الغرفة قبل أن يسمع تتمة جملتها رافعاً يده بحركة عصبية .

تبعته « ليتونيا » دون أي اعتراض وصعدت في العربة إلى جانب اللورد فأقلتهما هذه الأخيرة إلى القصر الذي لا يبعد سوى عدة أمتار فقط عن المكان. وأثناء اجتياز هذه المسافة القصيرة بكل صمت فهمت « ليتونيا » أن حياتها إلى جانب اللورد ستكون عبارة عن جحيم دائم .

واستقبلهما « الراجا » الذي كان يتزين بالجواهر الباهظة الثمن بكل حفاوة لكن « ليتونيا » لاحظت في نظراته نفس بريق الشر الذي قرأته في أول لقاء لها معه وقررت أن تكون حذرة . وتذكرت كلمات «ستيفنسن» للورد.

« إن الأجواء هنا غير مريحة أبداً . . . » قالت في سرها . كانت تحترق شوقاً لمعرفة رأي اللورد في الموضوع . هل انتابه نفس الشعور ؟ لكن هذا الأخير كان يتباحث مع « الراجا » بكل لطف وبكل هدوء ولم يستطع دون شك ملاحظة أية حركة أو أي تصرف يدخل إلى نفسه الشكوك .

ومنعها القلق والتعب اللذان كانا يسيطران عليها من متابعة الرقصات أو حتى الاهتمام بالحركات التي كانت الفتيات يقمن بها . أما وقع الموسيقى العالية فقد كان يذكرها بمراسيم زواجها في الصباح . فقد أبرقت لها « طوني » وأخبرتها أنها في غاية السعادة ، ليس هذا هو الوضع بالنسبة إليها كانت تحلم دائماً بالزواج من رجل تحبه مسبقاً ، كما أحبت والدتها والدها وعاشت إلى جانبه حياة سعيدة حتى آخر رمق من حياتها .

« كم كنت حمقاء ، قالت في نفسها ، ولم يخطر ببالي لحظة واحدة أن أتعرض لمثل ما تعرضت له في الصباح » .

لم تتخيل ولو لدقيقة واحدة أن هذه اللعبة التي قررت أن تقوم بها مع « طوني » قد تنتهي بها إلى الزواج . كانت تتوقع أن تثور ثائرة اللورد « برانسكوب » ، أو أن يبعث بها فوراً إلى إنكلترا لكنها لم تكن تتوقع أن يتزوج بها خوفاً على سمعتها وخوفاً من الفضيحة .

وتيقنت « ليتونيا » بأنها أقدمت على اقتراف أكبر غلطة في حياتها . كانت تتمنى أن تدفن كل أحداث هذه اللعبة في هذه البلاد البعيدة والنائية فتعود إلى إنكلترا وكأن شيئاً لم يكن . لكن اللورد رجل معروف جداً في الهند وأقل تصرف نابٍ أو غير لائق من طرفه سيؤثر في سمعته ويثير الأقاويل والشائعات بين أعضاء الجالية الانجليزية في الهند .

«أجل إن الزواج هو أفضل حل، ولكن أرجو أن يحسن معاملتي بعض الشيء » قالت « ليتونيا » في نفسها .

إنه رجل ذكي لقد تعمد إتمام مراسيم الزواج في تلك الكنيسة الصغيرة كي لا يثير الخبر شكوك أي كان ! كما أن القسّ أتم عقد

الزواج كما لو كان الأمر يتعلق بأي جندي إنجليزي ولم يعر أي اهتمام لشخصية لورد « برانسكوب » أو مركزه الاجتماعي .

وتشابكت الأفكار في مخيلة « ليتونيا » طوال السهرة وشعرت بعقدة الذنب وبالمسؤولية الكاملة عن كل ما يحدث لها . ورغم حالتها النفسية هذه كانت الفتاة مصممة على مفاتحة اللورد بشأن تخوفها من نيات « الراجا » . ولكن فور وصولهما إلى الصالة في الجناح الخاص بهما ، قال لها اللورد قبل مغادرة الغرفة وبنوع من الحدة :

ـ تصبحين على خير يا « ليتونيا » .

واختفى داخل غرفته . وتأكدت الفتاة أن وجود الخادم معهما قد منعه من التحدث إليها .

كانت غرفتاهما مجاورتين وشعرت « ليتونيا » بأنها بعيدة عن اللورد آلاف الاميال ، وفيما كانت تخلع ملابسها لاحظت وجود باب مشترك بين الغرفتين لم تلاحظه من قبل فقد كان مخفياً وراء ستار أبيض .

وفي الجهة الأخرى سمعت اللورد «برانسكوب» يزرع أرض غرفته ذهاباً وإياباً . « يبدو أنه قلق » قالت الفتاة في سرها وجلست فوق فراشها تفكر فيما كانت تقوله والدتها لو علمت أن ابنتها تمضي ليلة زواجها وحيدة !

وتمددت فوق الفراش ولاقت صعوبة كبيرة في الاسترسال في النوم وفجأة سمعت أصواتاً في الخارج ظنت في بادىء الأمر أنه كلب يعوي أو طفل يبكي أو حتى أصوات بعض الأشخاص المارين أمام القصر ، « لكن الجناح محروس فلا داعي للخوف » قالت .

ومكثت ساعتين على هذه الحال تتقلب في فراشها دون أن تتمكن من النوم . ومرة ثانية تبادرت إلى مسامعها بعض الأصوات فقفزت

من مكانها وتوجهت نحو النافذة وأخذت تسترق السمع . كان الأشخاص يتحدثون بالاوردي .

حاولت « ليتونيا » أن تركز وتستجمع كل قوتها من أجل فهم ما يدور بين هؤلاء الأشخاص من حديث .

ـ يجب أن يموت . . .

ـ لابد لنا أن نكون حذرين .

ـ طبعاً ، أجاب شخص آخر ، فلو اكتشف مؤامرتنا سنتعرض لمصاعب كبيرة .

ـ لا ، إن « الداتورا » ، لا مجال لمقارنته بالبندقية أو بالخنجر ، إنه لا يترك أثراً أبداً وسنحاول أن نعطي اللورد كمية منه مع طعام الفطور . فيموت في القطار .

ـ إنها فكرة رائعة .

حبست «ليتونيا» أنفاسها وعادت إلى فراشها بسرعة فقد شعرت بالدوار وكادت تقع أرضاً . إن اللورد « برانسكوب » معرض للخطر ولا بد لها من إعلامه بالموضوع مهما كلف الأمر .

فقد كانت تعرف أن « الداتورا » هي زهرة جميلة للغاية ، ذات رائحة ذكية تنبت بكثرة في الهند . قرأت كل ذلك في الكتب في الباخرة وكانت بذور هذه الزهرة تدعى « حبوب الموت»، لأنها كانت تصلح لاستخراج سم خطير . وتذكر « ليتونيا » أنها قرأت في أحد الكتب أيضاً أن هذه الحبوب تدق عادة إلى أن تتحول لنوع من « البودرة » توضع كمية قليلة جداً منه في الطعام فيقضي على الشخص خلال ساعات قليلة .

كان لا بد لها من إعلام اللورد بالموضوع وسارعت نحو الباب الذي يصل بين الغرفتين وهمت بفتح الباب لكنها سمعت ضجة في

الخارج . وتذكرت أن حرس القصر والخدم يوجدون الآن في الخارج يطيعون في ذلك أوامر « الراجا » كما أنهم مكلفون بنقل كل ما يصل إلى مسامعهم من حديث إلى « الراجا » .

ـ وترددت « ليتونيا » وتساءلت في سرها « كيف لي أن أعلم اللورد دون أن يسمعنا الخدم الذين ينامون على أبواب الجناح » .

كان بإمكانها انتظار الصباح فتقترح على اللورد أن يقوما بنزهة في الحديقة قبل تناول طعام الفطور فيمكنها بذلك أن تفاتحه بالأمر دون أن يصل ذلك إلى مسامع أحد . لكنها خشيت أن يغير هؤلاء خطتهم فيعمدون إلى التخلص من اللورد بطريقة أخرى أو حتى قبل بزوغ الفجر « لا بد له أن يكون حذراً » ! قالت في نفسها .

فالعادات الانجليزية تفترض أن يتناول الشخص فور استيقاظه قطعة من الخبز والزبدة وقدحاً من الشاي . إن قطعة واحدة من الخبز تكفي لقتل اللورد . « يا إلهي قالت « ليتونيا » كيف لي أن أعلمه ، لا بد لي أن أراه حالاً وقبل بزوغ الفجر » .

ودون تفكير مدت « ليتونيا » يدها ، وفتحت الباب بكل هدوء ودخلت إلى الغرفة .

وفي الظلام شاهدت « ليتونيا » اللورد « برانسكوب » ممدداً فوق الفراش وجمدت في مكانها لا تعرف ما العمل . واقتربت نحو الفراش بكل هدوء ، فتحرك اللورد في هذه الأثناء وعلمت أنه قد استيقظ .

وانتفض من فراشه بسرعة وقال :

ـ ما الذي يحدث ؟ من أنت ؟ وأضاف بلهجة غريبة :

ـ « ليتونيا » !

« لقد سمع الخدم كل ذلك » قالت « ليتونيا » في سرها فجلست فوق الفراش وقالت بصوت عالٍ :

ـ لقد نسيت أن تلقي علي تحية المساء . . .

ولاحظت دهشته بالأمر فأضافت :

ـ لقد نمت قليلاً . . . واستيقظت قبل قليل .

وبقي اللورد جامداً في مكانه دون أن ينبس ببنت شفة واقتربت منه « ليتونيا » وهمست في أذنه :

ـ هناك شيء هام أريد أن أقوله لك .

وفهم اللورد اللعبة فأجاب بصوت عالٍ :

ـ أهلاً بك يا عزيزتي ، إنني سعيد بوجودك بقربي ، لقد كانت حفلة المساء جميلة للغاية .

وهمست « ليتونيا » مرة أخرى :

ـ إنك في خطر . إنهم ينوون قتلك .

ـ كيف عرفت ذلك ؟ تمتم اللورد .

ـ لقد سمعت ذلك قبل قليل .

ورفع اللورد صوته وأجاب :

ـ إنك بحاجة إلى بعض الراحة يا عزيزتي ، لقد قمنا برحلة طويلة البارحة .

ـ لا إنني على أحسن ما يرام ، أجابت « ليتونيا » بلهجة عادية ثم أضافت هامسة :

ـ سيضعون لك بعض السم في طعام الفطور غداً ، إياك أن تأكل شيئاً أرجوك . . . كن حذراً .

ـ لا داعي للقلق ، همس وأضاف بصوت عالٍ . سنقطع مسافة طويلة غداً . لذا حاولي أن تنامي قليلاً يا عزيزتي .

ـ تصبح على خير .

وبحركة لا شعورية طبع اللورد قبلة على يد «ليتونيا» .

أما «ليتونيا» فقد اجتاحها شعور غريب وغمرتها السعادة، وعادت إلى غرفتها.

تمددت الفتاة فوق فراشها وأخذت تفكر باللورد وتمنت من كل قلبها أن تتحسن معاملته لها، فهي مستعدة للعيش إلى جانبه مدى الحياة وأن توفر له السعادة كل السعادة.

وفهمت «ليتونيا» لأول مرة بأنها تحب اللورد بكل جوارحها، فهي معجبة بشخصيته وبأخلاقه.

« . . . لم قبّل يدي بهذه الطريقة ؟ تساءلت في سرها أراد أن يشكرني دون شك » . يا إلهي ليت شعوره نحوي يتغير ! لا ، هذا غير معقول إنه يكرهني ويكره « طوني » لقد خدعناه ولن ينسى خدعتنا هذه مهما كلف الأمر . كيف لي أن أصلح هذه الغلطة ؟

وانهمرت دموع « ليتونيا » فوق خديها وأخذت تندب حظها « ها هي « طوني » تعيش سعيدة الآن ، أما أنا فإنني سأضطر لتحمل كره اللورد وحقده على مدى الحياة » .

- إنني أحبه تمتمت في الظلام .

وأخذت تبحث عن طريقة ممكنة من أجل تبديل شعوره نحوها فقد بكت « ليتونيا » البارحة في فراشها بسبب غضب اللورد « برانسكوب » عليها بعد أن اكتشف لعبتها وحقيقة أمرها وها هي ذي تبكي اليوم حبها الضائع إلى الأبد . فبالإضافة إلى جاذبيته كان اللورد « برانسكوب » يمثل بالنسبة إلى « ليتونيا » الرجل الشريف ، المحافظ ، كان يتمتع بكل الصفات النبيلة التي كانت تتمنى أن تجدها لدى فارس أحلامها .

« لا يحبني أبداً ، بل سيكرهني مدى الحياة » قالت في نفسها ، لن يستطيع أحد مساعدتي ، حتى « طوني » لا يمكنها أن تفعل شيئاً

لأجلي ، لقد اقترفت ذنباً ولا بد لي من دفع الثمن الآن .

ورويداً رويداً بدأت أولى خيوط أشعة الشمس تظهر في الأفق ولم تغمض عينا « ليتونيا » أبداً تلك الليلة .

www.elromancia.com

في الصباح الباكر ، غادرت « ليتونيا » فراشها متعبة ، منهكة القوى إثر الأحداث التي تعرضت لها البارحة .

سمعت أصواتاً في الغرفة المتاخمة لغرفتها وعرفت بأن اللورد قد استيقظ من النوم .

وشعرت برغبة شديدة في الصراخ خوفاً فهناك مؤامرة تحاك ضد اللورد « برانسكوب » قد تودي بحياته . « أرجو أن يكون قد أخذ كلامي البارحة على محمل الجد وألا يعرض حياته للخطر » قالت في سرها .

قد يكون الرجال الذين يعملون في خدمة « الراجا » قد وضعوا طريقة أخرى للتخلص منه . لكن « ليتونيا » كانت متيقنة في أن أفضل طريقة لحماية اللورد هي التصرف بكل لباقة وبطريقة عادية جداً دون إظهار الخوف الذي يسيطر عليها .

سمعت الفتاة اللورد وهو يغادر الغرفة وسمعت وقع أقدامه في الممر وفهمت أخيراً أنه لا بد لها من المكوث في غرفتها وانتظار سير الأمور .

كانت تتوقع سماع صوت أزيز رصاصة أو صرخة رجل مطعون

بالخنجر في كل لحظة ، لكنها لم تكن تسمع سوى أصوات زقزقة العصافير في الحديقة المحيطة بالجناح ، وأصوات نساء أو ضحكات أطفال . كانت كل هذه الأصوات تتبادر إلى مسامعها حاملة نوعاً من التهديد . ففي هذه الأجواء العادية جداً : هناك رجل مهدد بالموت وفي أية لحظة .

« أرجوك يارب ، ساعده ، احمه » ، تمتمت « ليتونيا » .

وأخذت تردد هذه الجملة بصورة لا شعورية . وتذكرت فجأة أن اللورد كان قد أخبرها البارحة أنهما سيغادران هذه المنطقة اليوم . فسارعت إلى ارتداء ثيابها وجمع وتوضيب حقائبها . وفي هذه الأثناء دخلت عليها الخادمة ووضعت فوق الطاولة طبق فطور الصباح .

هل هذا الطبق مسموم؟ تساءلت في نفسها، «لا، دون شك إن اللورد « برانسكوب » هو الذي يهمهم وليس زوجته » زوجته رددت عدة مرات ، أجل إنني الآن زوجته ولا بد لي من إنقاذه » .

أكملت الفتاة ارتداء ثيابها وخرجت إلى الممر ومكثت تنتظر اللورد فقد توقعت أن يقدم طعام الفطور لهذا الأخير على شرفة الغرفة المطلة على الحديقة الغناء . كان ذلك كما توقعت بالضبط فقد وضع فوق إحدى الطاولات في الشرفة طبق من الفضة عليه أباريق الشاي والقهوة والكؤوس وصحون الحلوى وغيرها .

وفي هذه الأثناء تقدم الخادم من الطاولة ووضع عليها طبقاً من قطع الخبز الساخن والطازج « إنه الخبز المسموم دون شك » قالت «ليتونيا» في سرها . وحاولت ضبط أعصابها ريثما يطل عليها اللورد . ووقفت تتأمل الأشجار والأزهار في الحديقة ، كان المنظر رائعاً لكن « ليتونيا » لم تلاحظ شيئاً من هذا الجمال فقد كانت مشغولة البال شاردة الأفكار تفكر باللورد .

وفي هذه الأثناء ارتعدت « ليتونيا » عندما سمعت صوتاً وراءها :

ـ هل تنتظر سيدتي ، اللورد ؟

لم تفهم على الفور ما قاله لها الخادم من شدة الخوف لكنها تمالكت أعصابها مرة ثانية وأجابت بكل هدوء لعدم إثارة الشكوك :

ـ أجل ، إنني أنتظر اللورد .

انحنى الخادم احتراماً وانسحب .

وطال الانتظار فوق الشرفة وبدأت « ليتونيا » تفقد أعصابها ، وأخذت الأفكار السوداء تشغل بالها فتخيلت ألف حادثة وحادثة وألف مكيدة ومكيدة . وفي هذه الأثناء سمعت وقع أقدام . فالتفتت إلى الوراء ورأت اللورد قادماً نحوها . كادت تصرخ من الفرح لكنها اكتفت بالابتسام .

ـ عذراً ، قال لها ، لقد تأخرت عليك يا عزيزتي .

وجلس قبالتها وراء الطاولة وأضاف مبتسماً :

ـ كان بإمكانك البدء بتناول طعام الفطور بدوني .

فهمت « ليتونيا » بأنه ينتظر منها أن تلعب دوراً ما هذا الصباح فاقتربت منه وأجابت :

ـ لقد كنت أراقب العصافير . . .

ـ آه العصافير . . . أجاب اللورد بدهشة وصمت لحظة ثم أضاف :

ـ إنها جائعة على ما أظن .

وتناول قطعة من الخبز ورماها باتجاه الطيور في الحديقة .

اقترب منها أحد العصافير وقضم منها قطعة صغيرة وطار نحو إحدى الأشجار وقبل وصوله إلى الشجرة خارت قواه وهوى بعد لحظات فوق

الأرض حيث أخذ يتخبط قبل أن يتحول إلى كومة من الريش الجامدة .

وصرخت « ليتونيا » بصوت خافت فيما تظاهر اللورد بأنه لم يلاحظ حتى ما حلّ بالعصفور فتناول قطعة أخرى من الخبز ورمى بها في الحديقة وانقضت عليها العصافير . ومرة ثانية قضمها العصفور وطار نحو السطح لكنه هوى أرضاً قبل أن يقطع المسافة .

وفي هذه الأثناء وفيما كان اللورد و« ليتونيا » يراقبان هذا المنظر المخيف اقترب منهما رئيس الخدم وقال له :

ـ إن العربة جاهزة يا سيدي !

وضع اللورد قطعة الخبز التي كان يحملها في يده في الطبق والتفت نحو « ليتونيا » قائلاً :

ـ هيا بنا يا عزيزتي ، لقد حان وقت الرحيل .

ـ بالطبع ! أجابت « ليتونيا » بلهجة غريبة دون أن تفارق عيناها العصافير وقطع الخبز .

ومد إليها الخادم مظلة فقد كانت الشمس ساطعة وتناولت حقيبتها وقفازيها وصعدت إلى العربة .

ودون توديع أحد سارت العربة نحو محطة القطار وفهمت «ليتونيا» بأن اللورد قد تعمد ذلك وأمر بتقديم موعد سفره .

مرت العربة أمام القصر بكل هدوء وخرجت إلى الطريق العام دون أية صعوبة . ولم تكن « ليتونيا » تصدق بأن الخطر قد زال الآن ، وكادت تنهار من شدة الخوف .

كانت تتخيل أشياء وأحداثاً غريبة فتوقعت انقضاض أحد الرجال على اللورد وضربه بالخنجر في أثناء مرور العربة في السوق وامتقع

www.elromancia.com

لـونها وأخـذت تتضرع إلى الله أن يحمي اللورد وينقـذه من هـذه المكيدة .

وفي هذه الأثناء مد اللورد يده نحوها وأمسك بيدها مهدئاً . لكن هذه الحركة لم تفلح في التخفيف من حدة خوفها وأغمضت « ليتونيا » عينيها محاولة إبعاد كل هذه الصور المخيفـة عن مخيلتها وبقيت عـلى هذه الحال مدة طويلة .

وتـوقفت العربـة وفتحت عينيها ولم تصـدق أن رحلة العربـة قـد انتهت الآن . وبصعوبة كبيرة قفزت منها وتوجهت نحو القطار بسرعة وكأنها تريد التخلص من هذا الخطر المحدق الذي يلاحق اللورد .

والتفتت نحو اللورد « برانسكوب » لكي تتأكد بأنه يتبعها وسمعته يقول بلهجة آمرة :

ـ سننطلق فوراً .

أغلقت الأبواب وأطلقت الصفارة وانطلق القطار . وقبل أن تجلس « ليتونيا » فوق المقعد شعـرت فجأة بـالدوار وغـطت عينيها غشـاوة سوداء وفقدت الوعي .

وبعـد مرور عـدة دقائق ، كـانت « ليتونيـا » ممددة فـوق إحـدى الأرائـك في القـطار غـير قـادرة عـلى فتـح عينيهـا ، نـزع اللورد « برانسكوب » قبعتها وحذاءها وسمعته وهو يقول لها وكأنه يحدثها من عالم آخر :

ـ إنك مرهقة يا « ليتـونيا » . . . حـاولي أن تنامي قليـلاً سنقطع مسافة طويلة جداً اليوم . لا داعي للقلق بعد الآن .

تعجبت الفتاة لهذا الاهتمام الزائد الذي أحاطها به اللورد واسترسلت في نوم عميق . فقد وصلا إلى المحطة واللورد حي يرزق !

ونهضت الفتاة قبيل الظهر فنزعت ثيابهـا واستسلمت ثانيـة للنوم

فقال لها اللورد بأن الرحلة طويلة جداً هـذا اليوم . ومـا إن وضعت رأسها فوق الوسادة حتى قرع الباب ودخل عليها الخادم حاملاً طبقاً من الطعام .

تناولت « ليتونيا » الرز والخضار وقطعة الدجاج لكنها امتنعت عن تناول الخبز الهندي .

ومكثت الفتاة ساعات طويلة ممددة فوق الأريكة وهي تفكر بهـذه المغامرة التي أقدمت عليها فتخيلت كل أحداث الرحلة وقالت أخيراً « إنه حي يرزق ، الحمد لله إنه حي يـرزق » وفي هذه الأثنـاء قرع الباب وقال لها الخادم دون أن يدخل إلى الغرفة بأن القطار سيصل إلى المحطة الأخيرة بعد دقائق وطلب إليها أن تلبس بدلة ركوب الخيل .

« إلى أين نحن ذاهبان ؟ » تساءلت في سرها .

ولبست البدلة الخاصة بركوب الخيل وقررت أن تستفهم من اللورد حول وجهة سيرهما فور لقائها به .

كان اللورد « برانسكوب » ينتظرها وقد لبس هو الآخر بدلة خاصة بالفروسية وبدا في غاية الأناقة وفهمت « ليتونيا » أن المرحلة القادمـة من الرحلة هي زيارة خاصة فقد خلع اللورد « برانسكـوب » الثياب العسكرية . لكن الوقت لم يسمح لـ «ليتونيا» بفرصة الاستفهـام من اللورد حول وجهة سيرهما فقد توقف القطار فجأة .

ـ أرجو ألا تتعبك هذه المرحلة من الرحلة ، قال لها اللورد .

ـ لا ، لا ، إنني بألف خير . . . لقد نمت طوال النهـار إنني آسفة حقاً لهذا الكسل الذي سيطر عليّ .

ـ إن إرهـاقك هـذا أمر طبيعي ، لقـد وجدنـا صعوبـة كبـيرة في الاسترسال في النوم البارحة .

ولم تجد « ليتونيا » وقتاً للإجابة فقد فتح باب القطار وظهر أمامها خادمان متأهبان لاستقبالها في المحطة .

ومشت بضع خطوات فوق رصيف المحطة الصغيرة ورفعت عينيها نحو السماء وشهقت بصوت عالٍ . فقد ظهرت أمامها قمم جبال الهمالايا المغطاة بالثلوج .

كانت تحلم بهذه الجبال منذ لفولتها ، لكنها لا تحلم الآن ، إنها تشاهد الجبال أمام عينيها . وقبل أن تجد الوقت المناسب للاستفهام من اللورد وجدت نفسها خارج المحطة حيث كانت الجياد تنتظرهما .

ودون أن تنبس ببنت شفة ، امتطت حصانها ومشت إلى جانب اللورد ، فيما نقلت الحقائب فوق ظهور الجياد الأخرى .

وبعد مغادرة المدينة أخذت « ليتونيا » تتأمل تلك الجبال الشاهقة ، المكللة بالثلوج والتي تقترب منها شيئاً فشيئاً ، وتأملت أيضاً الأزهار الجميلة فوق الأرض ذات الألوان الزاهية الغريبة .

وصعدت الجياد منحدر الجبل رويداً رويداً ثم تقدم اللورد « ليتونيا » وعرج نحو ممر ضيق فتبعته دون أي اعتراض . فقد كانت تعلم جيداً بأنها ستجلس وجهاً لوجه مع اللورد حيث لا ينتظرهما أي « راجا » !

وظهر أمامها فجأة وراء أحد المنعرجات كوخ أبيض صغير تحيط به حديقة صغيرة زرعت فيها أنواع عدة من الزهور . واستغربت « ليتونيا » للأمر لكنها فضلت عدم طرح أي سؤال

وصلا إلى الكوخ الخشبي فهب لاستقبالهما ثلاثة خدم رجلان وامرأة . وبعد القاء التحية على اللورد وضيفته سارع هؤلاء للاهتمام بالحقائب .

أمسك اللورد بيد « ليتونيا » وقادها نحو الكوخ ، فلم تعارض

كانت مذهولة بجمال هذا الكوخ الجميل وأثاثه الخشبي المتواضع .

وتحدث اللورد إلى الخدم بلهجة خاصة لم تفهمها « ليتونيا » ثم التفت نحوها وقال لها :

ـ أظن أنك بحاجة إلى الاستحمام بعد هذه الرحلة الطويلة . إنني بانتظارك بعد ذلك من أجل تناول طعام العشاء فلم تأكلي شيئاً اليوم .

« ما سر هذه اللطافة ؟ » تساءلت « ليتونيا » في سرها .

ـ إنها فكرة عظيمة ! أجابت والسعادة تغمر قلبها . ولكن قل لي نحن في منزل من الآن ؟

ـ في منزلي ، أجاب اللورد « برانسكوب » ، لقد اشتريته منذ سنوات لكي أمضي فيه عطلي .

ـ إنه منزل رائع ! صاحت « ليتونيا » .

ـ سأحدثك عن كل هذا فيما بعد . سأقودك إلى غرفتك الآن ، إنه منزلك يا « ليتونيا » .

وجرها بيدها نحو إحدى الغرف حيث كانت المرأة المسنة تنتظرها وقد أشعلت المدفأة .

ـ إن حمامك جاهز يا سيدتي ، قالت لها .

فأجابتها « ليتونيا » « بالاوردي » هي أيضاً .

كان الحمام منعشاً للغاية أزاح كل آثار تعب الرحلة الطويلة التي قامت بها « ليتونيا » ذلك اليوم . وساعدتها الخادمة على ارتداء أجمل أثواب « طوني » وعلى تسريح شعرها .

ونظرت إلى نفسها في المرآة وتأسفت لعدم امتلاكها ولو عقداً واحداً تزين به عنقها .

www.elromancia.com

ـ مهلاً يا سيدتي ، قالت لها الخادمة فجأة وكأنها قرأت أفكارها ، وغادرت الغرفة .

جلست « ليتونيا » فوق الفراش وأخذت تتساءل عما ينتظرها الآن . كيف ينظر إليها اللورد بعد زواجهما ؟ ولماذا أتى بها إلى منزله الخاص ؟

وفي هذه الأثناء عادت الخادمة إلى الغرفة حاملة بعض الأزهار الصغيرة الملونة . ودون أن تستأذن « ليتونيا » أخذت تزين بها شعرها كما تفعل النساء الهنديات تماماً .

ـ شكراً لك ، قالت لها «ليتونيا».

فانحنت الخادمة احتراماً قائلة :

ـ إنك فاتنة حقاً يا سيدتي ، وكذلك سيدي اللورد ، إنني أتمنى لكما حياة سعيدة .

ـ أرجو ذلك تمتمت « ليتونيا » .

دخلت إلى الصالة ووجدت اللورد بانتظارها . وقبل أن تجد الكلام المناسب للتحدث إليه دخل الخادم إلى الصالة وأخبرهما بأن طعام العشاء جاهز الآن .

وأحاط اللورد كتفي « ليتونيا » بذراعيه وقادها نحو الطاولة . كانت تشعر بخجل كبير ولم تستطع التفوه بكلمة واحدة .

وبعد جلوسهما حول الطاولة قال لها اللورد أخيراً :

ـ إننا نحتفل بعيد زواجنا اليوم يا عزيزتي . ولننس كل ما تعرضنا له البارحة ، وإنني آسف حقاً للمعاملة السيئة التي عاملتك بها .

ولم تجد الفتاة الكلمات المناسبة للرد على اللورد من شدة الخجل والارتباك فلزمت الصمت .

ـ أطلب من الله أن يساعدني على إسعادك في الحياة إلى جانبي ، أضاف اللورد .

ـ هذا كل ما أتمنى أنا أيضاً أجابت هامسة .

وبعد تناول طعام العشاء عادا إلى الصالة ووقفا أمام إحدى الشرفات يتأملان السماء الصافية وأشعة النجوم التي تلمع فوق القمم المكللة بالثلوج .

ـ إنه منظر رائع . . . تمتمت « ليتونيا » .

ـ إنك أجمل مخلوقة وقعت عليها عيناي أجاب اللورد.

ولم تجب فلم تكن تصدق كل ما تعيشه .

ـ ظننت أنك تحبين قضاء شهر العسل بالقرب من هذه الجبال التي طالما حلمت بها .

ـ شهر العسل ! أجابت « ليتونيا » باندهاش فلم تكن تتوقع سماع مثل هذه الكلمات من اللورد .

ـ شهر العسل الذي ما كنا نعيشه لولا تنبيهك لي البارحة مساءً . إنني مدين لك بحياتي الآن يا « ليتونيا » ويمكنك أن تفعلي بي ما شئت . إنني حقاً محظوظ بالتعرف إليك .

ـ هل تظن ذلك حقاً ؟ هل أنت في مأمن الآن ؟ سألت .

ونظر إليها اللورد بحنان وأجاب :

ـ إننا في مأمن الآن ، ولا داعي للخوف . ولكن هل يهمك أمري لهذا الحد ؟

ـ طبعاً ! لقد عشت لحظات صعبة البارحة ولا يمكنني نسيان كل ذلك بسهولة . أرجوك كن حذراً من الآن فصاعداً . وذلك لأنني أخشى . . .

وماتت الكلمات فوق شفتيها .

www.elromancia.com

ـ أكملي جملتك أرجوك ، قال لها اللورد « برانسكوب » ، لقد كنت أظن أنك تكرهينني بسبب « طوني » .

ـ إنك لم تظهر رغبة في فهم هذه الفتاة . إنك تسيء الظن فيها .

ـ أعترف لك الآن بأنني أسأت الظن فيها في بادىء الأمر لكنني أصدقك الآن وأصدق كل ما تقولينه حول ابنة أخي .

ـ أحقاً ما تقول ؟

ـ إنك فتاة رزينة يا « ليتونيا » ، ولا أظنك قادرة على الكذب ويبدو أنك تحبين « طوني » حباً كبيراً .

ـ لقد تربينا معاً . أجابت « ليتونيا » فرحة .

ـ تصوري أنني صدقت في بادىء الأمر بأنك ابنة أخي رغم اختلاف أطباعكما ، وبدأت أميل إليك عندما طلبت إلي أن أعلمك اللغة الهندية ، حاولت محاربة شعوري نحوك وهذا ما يفسر سوء معاملتي لك في الرحلة . لقد كنت أتعمد الإساءة إليك من أجل التخلص من شعوري نحوك .

ـ كنت أعتقد أنك تكرهني حقاً ! قالت « ليتونيا » بحياء .

ـ لقد حاولت إظهار ذلك . ذهلت بذكائك الكبير وثقافتك الواسعة وأعجبت بها كنت أعرف جيداً بأن ابنة أخي لا تتمتع بمثل هذه الصفات .

ـ إن « طوني » فتاة ذكية للغاية ، لكنها عاشت طفولة تعسة وقد أثر ذلك في حياتها . الحمد لله لقد حققت سعادتها الآن .

ـ وهل حققت سعادتك بدورك ؟ سألها اللورد .

ـ أرجو ذلك . أجابت بحياء . لم أكن أتصور بأنك تكن لي أي شعور بالحب بسبب تصرفاتك القاسية معي وقد أعجبت منذ اللحظة الأولى بشخصيتك ومثلك في الحياة !

وتيقنت أنني أحبك عندما تعرضت حياتك للخطر .

ـ أحقاً ما تقولين يا « ليتونيا » . إنني سعيد جداً بسماع ذلك .

تصوري أنني كنت أنوي تقديمك « لأندرو » وأعرض عليه الزواج منك لكي أتخلص من شعوري نحوك !

ـ لحسن الحظ أنك اكتشفت الحقيقة قبل ذلك .

ـ لقد كدت أطير فرحاً ولكنني لم أشأ أن أظهر ذلك أمامك لم أكن أعرف أنك تقاسمينني نفس الشعور .

إنني أحبك يا « ليتونيا » بكل جوارحي .

ـ وأنا أيضاً أجابت « ليتونيا » إن حبي لك لن يموت أبداً ! .